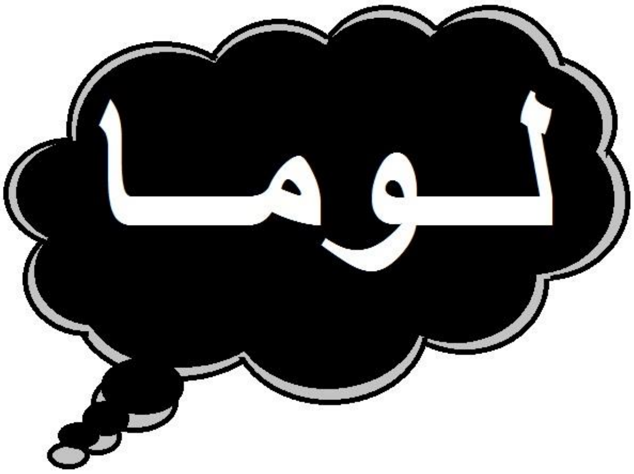
د. إبراهيم عبد الحميد



رواية

صدرت الطبعة الأولى فى فبراير **2020**

بطاقة الكتاب

عنوان المؤلف	لوما
المؤلف	إبراهيم عبد الحميد
التصنيف	رواية
رقم الإيداع	2020 - 5368
الترقيم الدولي	978-977-6771-68-0
رقم الإصدار الداخلى	598 الطبعة الاول فبراير - 2020
عدد الصفحات	88 صفحة
تصميم الغلاف	مؤسسة النيل والفرات
لوحة الغلاف	إهداء م. مفتاح الخشمى



الميثولوجيا الفكرية فى رواية لوما

رؤية نقدية بقلم الشاعر الناقد

ناجى عبد المنعم

ارتبط الإسقاط الميثيولوجى على النص الإبداعى بالرموز الخرافية والتى صنعتها الشعوب على مر العصورليستخلص منها الأجيال الجديدة الحكمة ويُسْتَمد منها القوة الدافعة لمواصلة النجاح ، وأغلب هذه الرموز تكون من خيال المؤلف المجهول ، ومع تطور الفكرة طُعِّمَت برموز من أبطال المجتمع فى الفكر والسياسة والحب أيضا ، وقد يختبىء المؤلف خلف هذه الحكايات ليسوق على لسانها ما تمنعه الرقابة ، أو ما يخالف الدستور والقوانين العرفية فيبالغ المؤلف فى الإغراق فى الضبابية والترميز مستعينا بالموروثات الشعبية لتندرج فى النهاية خلف حكايا الأساطير، ويطلق المؤلف العنان للخيال ويحمله بالكثير من قضايا المجتمع

وقبل أن نفتح صفحات رواية (لوما) يجب أولا أن نعرف مؤلفها فهو شيخ المثقفين العرب الذى يمتلك قلبا محبا لا يكره أبدا وهذا ما يكفينى ليكون مدخلا لرواية (لوما)

فقد انعكست شخصية الأديب د. إبراهيم عبد الحميد على رموز روايته لاسيما الشخصية المحورية والتى حَمَّلها كل هموم الكون وأدخلها فى العديد من التجارب والأزمات ورغم صعوبة الموقف إلا أنها كانت قوية ، صلبة لم تيأس ولم تتخل عن إرادتها – وهذه بالفعل شخصية المؤلف نفسه – فقد عركته الحياة ، ولم تنل منه ، فقد ظل واقفا فى شموخ يعلم الأجيال ، ويروى أرض أحلامهم بأفكاره وخبراته ،

ومن هنا بدأ الأديب د. إبراهيم عبد الحميد استخدام الميثولوجيا الفكرية بالتناص الفكرى مع شخصيته المحورية والتى قد تتشابه سيرتها وأغلب النساء فاستلهم الشخصية بتوجهاتها الفكرية ولم يعبأ بالتفاصيل الذاتية والتشريحية قد اهتمامه بالتجربة ذاتها والفكرة المجردة ، فكانت (ذات العينين العسليتين)

هى الرمز الذى انطلق من خلاله ليطرح العديد من الإشكاليات والقضايا المجتمعية فى هذا الزمان، لاسيما المشتركة بأفراد العائلة – التى صورها شبه مفككة – والإسقاط هنا على المجتمع العربى الكبير الذى مازال يعانى التفكك والنظرات السوداوية للأخر ، والقصور الفكرى فى التعامل مع مفردات الحياة ، فشخصية (لوما) هى النسخة المكررة فى كل الوطن العربى بكل ما تحمله من هم قومى ، وأعباء ذاتية ومعيشية ، ورد فعل متغير دائما وفقا لما تسوقه إليها المقادير اليومية،

واستطاع الأديب د. إبراهيم عبد الحميد أن يعيد إلى الأذهان آليات الكتابة من المدرسة الواقعية والتى أسسها الخالد نجيب محفوظ والتى تتميز بدقة الوصف والإسهاب والخيال الطموح والجامح وهذا الأسلوب اختاره الأديب ليناسب رواية (لوما) تماما على توقعه بأن الجيل الحديث هو الذى سيندفع إلى مثل هذه الروايات الحياتية فاختار الأسلوب بدقة ، والمدرسة بعناية أكبر ، والسرد والحوار بحرفية شديدة ، وفى النهاية نحن أمام رواية مكتملة الأركان ، تصلح لكل زمان وتعيش وتستمر ماعاشت واستمرت الحياة نفسها .

تصدير إشاري

يكتبها الشاعر الناقد

سامي ناصف

مدخل تأصيلي..

يقول (فيلدنج):إنه ينبغي على كاتب الرواية أن تتوفر فيه الصفات الأربع التالية :العبقرية، والإنسانية ،والمعرفة ،والتجربة .

ويرى (الماركيزي دي ساد) أن الرواية ينبغي لها إيقاظ القاريء واستفزازه من أجل تشكيكة في أفكاره المسبقة ،وسوف نرى أهمية الدور الذي قام به (إبراهيم عبد الحميد)كاتب رواية(لاما) عبر هذا الفهم .

ويؤصل،هيكل صاحب أول رواية عربية (زينب)وذلك بعد عشرين عام من كتابة الرواية ،أن الفن القصصي هو الكفيل، بنشر ما يكشف العلم عنه من حقائق ،

ويقول إن للفن القصصي إلهاما خاصا عن باقي فنون الأدب ،فهو أسبق من الشعر ومن التصوير ومن الموسيقى ،إلى التقاط صور حياة الجماعة التي يعيش فيها ،وإثباتها على الورق ،ثم هو أقدر من هذه جميعا على رسم أمل الجماعة في المستقبل وتصوير المثل الأعلى التي تصبو إلى تحقيقة .وهذا ما ينكشف عنه عبر رواية (لوما) للكاتب إبراهيم عبد الحميد .

مدخل..

رواية (لوما) تعتمد على اللقطة الاجتماعية لا المشهد المجتمعي، بمعنى أن الحدث اجتماعي خاص لتقاليد عائلة وما يحيط بها في نطاق حُشر بين مساحة مكانية ضيقة رغم امتداد عنصر الزمن لحالة مجتمعية في مرحلة الطفولة ، ويافعية الشباب ،وما بعد ذلك .

فالرواية إستقت روح القصة القصيرة في الحديث عن مشهد اللقطة.وانجرفت إلى خط الرواية من خلال طول الزمن ، والسرد ،والحوار ،والصراع .

لو حاولنا أن نطبق مفهوم (فليندج) عن العبقرية ،والإنسانية ،والمعرفة،

والتجربة . لتبين لنا ذلك .العبقرية في اختيار العنوان المرواغ الذي يجعلك تلهث وراء السرد والحوار والحدث لتكتشف ما المقصود من (لوما)وسأظل مُسدِلا الستار دون كشف النقاب عن حقيقة العنوان لتظل عبقرية العنوان وهّاجة. أما مفهوم الإنسانية :متمثلة في تعظيم دور احترام قيمة الإنسان بشكل عام إلا أنه اختار الأنموزج الضعيف في المجتمعات العربية وهي الأنثي ليقدمها كأيقونة مضيئة رغم تصالح المجتمع العربي على طمسها وتهميشها .

فتحدث عن ضمير الغائب الأنثوي (هي)بمالم تستطع (هي)بالحديث عن نفسها .من هنا نرى مكمن العبقرية والذكاء في تلبس الشخصية حتى ولو كانت من غير جنسه.فكان إنسانا جدا .

..أما مبدأ المعرفة ..

فهو لديه علم بأصول ذلكم الأدب القصصي وقواعده ،فحقق أهم عنصر من عناصره الصراع،ونعني بالصراع صراعين : خارجي ،مع المكان، والزمان، والأفراد ،وأهمها الأسرة ومكوناتها ،ومن المكان البيت ،الشارع ،المدرسة ،البحر .

والصراع الداخلي ،جملة المتناقضات، الصدام مع تحقيق الرغبات وقوانين عُرفية مُكبِلة لتلكم الرغبات التي أحدثت صراعا داخليا رافضا في كثير من المواقف ،وقابلا لقليل من الأحداث حال هطول ماء الرضا .

من الأب ،الأم ،الأخ،الحبيب ،وغير ذلك.فالكاتب لديه معرفة تقوده لنقش ما كان خفيا ،ورسم ما كان مبعثرا داخل لوحة فنية مترامية يحكمها التناغم .

أما التجربة ...

فهي ذاتية ،منصهرة مع معطيات مجتمعية .استعمل في رسمها لغة الشعر القائمة على وصف الذات من الداخل واستكناه مخفياتها ،وفك طلاسمها عبر لغة سهلة ،وتصوير آثر ،وخيال بلغ حدّ السماء .

اللغة التصويرية ودورها في رسم الحدث.

اعتمد الكاتب على اللغة التصويرية التي تصف دقائق الأمور ،وزوايا مخفية ،إما مكانية ،أو آنية،أو أثر الزمن في الفعل وردّ الفعل فلقد ساهمت تلكم ، التشبيهات ،والاستعارات، والكنايات ،والمجازات ،في رسم الخطوط البيانية في رسم أحداث الرواية رغم أنها لم تعالج قطاعا عريضا من المجتمع الذي جرت على مسرحه أحداثها. فنحن أمام كاتب يمتلك أدواته ، يكتب ما يعرف ،ويعرف ما يكتب .

لوما

أيها القارئ الكريم

كن متطفلا ، وإقرأ يومياتي ، أو مذكراتي !!

ولا تجهد نفسك في البحث عن معنى (لوما) !!

فيوميات حياتي هي حكاية لإمرأة برغم كل هزائم الحياة إلا أنها...

.... لم تهزم..!!

إبراهيم عبد الحميد

في خريف العمر .. تتكسر القلوب.. ومهما حاولت التماسك .. إلا أن جيل الآباء في داخلك ينحني رغما عنك.. فأنت في وحدتك تشعر بإخفاقات إنهزامك.. ومن كانوا قد تجمعوا حولك يفرون دون وداع ، دموعك جفت من الأحداق .. تهرب منك الحياة كما تفر الرمال من بين أصابعك **!!** كسرت السنين كل أيام عمرك ، تثاقلت خطواتك .. كل الأشياء أصبحت خيالات.. والصمت مطبق كما عمق حلكة الدجى **!!**

تسري ذكرياتك كطعم الملح ..غدت أيامك رتيبة كئيبة .. ضاع يقينك .. شككت في كل شئ .. وجودك ، أمنياتك، أحلامك ، ماضيك ، حاضرك ، تتوجع في صمت **!!** ولكن يظل قلبك عالقا بحبال حبهم ، فحياتهم حياتك.. بصيص نور يسري في ذاكرتك.. تحاول بيدك المتحجرة أن تكتب.. ولكنها لاتستجيب برغم كل توسلك .. لاتستجيب.. تشيح بوجهك نحو النافذة .. الضجيج بالشارع الممتد لايتوقف.. تقتادك الذكرى إلى ماضيك.. فحاضرك يتسلل في حلقك بطعم الحنظل .. ترمق أوراقك المبعثرة أمامك.. تغوص في أمسك .. ترجك زفرة من أعمق أعماق روحك .. تتكوم على أوراقك .. كما تتكوم ثكلى على أيتامها.. تمحيك الذكرى.. تغيب عن الحاضر.. فالحياة كذبة عشناها بكل غباء **!!**

فنحن عابرون.. الكل عابرون .. وانا عاجزة.. وعباءة الوحدة ترهقني .. ماكنت أحسب أن تكون هذه هي خاتمتي.. لقد كنت أعيش في وهم تمنيت أن يطيل بقاءه..هزمتني الأيام .. إنطفأت حياتي..أغتيلت سنوات العمر..وأصبحت سجينة جدران دار العجزة ،عشت من التجارب الإنسانية مايمكن أن يكون رواية أو قصة ..أو إعتراف بالفشل أو النجاح..ولكنها في النهاية هي خلاصة لحياة إمرأة لم تهزمها الأيام ..أو لربما هي. في نفس الوقت جميلة لرؤية إمرأة وهبت كل سنين عمرها لأولادها .. حتى وإن لم تنصفني الحياة.. فإني لم أكرههم يوما.. بل مازلت أحبهم.. وأتذكر وجوههم .. كلماتهم.. ضحكاتهم..

سأروي لكم كل شئ عني .. برغم أني لا أجيد الفن القصصي ..**!!** ولا أعرف كيف أستخدم أسلوب السرد .. ولكني سأروي لكم مايخرج من ذاتي بكل عفوية ومصداقية وكل مايتشكل على الورق من كلمات هي أنا **!!**..

في ذات ربيع وعلى راحة قابلة ولدت ، وسمعت الدنيا أولى صرخاتي الرافضة لوجودي..

- تقول أم : نذرت مافي بطني لولي صالح كنت في زيارته وتيمنا به أطلقت إسمه عليك

هكذا بدأت حياتي والتي لم يكن لي فيها حق الإختيار.. حتي إسمي لم أختره ومن منا إختار إسمه؟ كبرت بين إخوة من الأب ومن الأم وإخوة أشقاء..أبي تزوج من إمرأة قبل زواجه من أمي وأنجب منها ولدا وبنتا , وأمي تزوجت قبل زواجها من أبي وأنجبت بنتا ثم جمعهما القدر معا وجئنا نحن .. كنا ثلاثة أشقاء وشقيقتين ..عشنا جميعنا في بيت واحد وكنا جميعنا إخوة ، أو هكذا كنا !! فلم أشعر في طفولتي بأننا لسنا أشقاء ..أخذت من والدي هدوءه ، ولون عينيه ، وأخذت من أمي صرامة عنادها ، وبأن قرارها هو القرار الصائب دائما .. كنا نعيش بجوار عائلتي ..أعمامي وأقاربي..والشارع الذي نقطنه يحمل إسم عائلتي..وعشت بمنزل العائلة المقابل للبحر كل سنوات طفولتي .. فقد شكل البحر بسكونه وهيجانه و تكسرتلاطم أمواجه على الصخور الصلبة .. ورماله الناعمة كل حياتي ..أطلق علي أقارب والدي (ذات العينين العسلتين) فقد كنت دوما بصحبته أينما ذهب ، حتى بمكتبه بديوان البلدية - مكان عمله - كنت كثيرة الزيارات له ،

فوالدي عمل بديوان البلدية موظفا بسيطا يحبه الجميع ، بشوشا ، مرحا ، سريع البديهة ، وحاضر النكتة ، يرسم الإبتسامة على من يعرفه ، لاذع بتعيقاته الساخرة - وهذه ميزة اكتسبتها منه - لايكترث للحياة كثيرا ، يعيش اليوم بيومه وكان كثيرا مايردد

- عش يومك ..بل عش لحظة يومك فالغد ليس لك

وعندما لم أكن بصحبة والدي كنت أهرب إلى البحر وأرمي بنفسي لساعات وسط هدير أمواجه ، أترك جسدي يسبح مع تياره.. يحملني كيفما يشاء .. ثم أعود في المساء إلى منزل عائلتي كما تعود العصافير للعش بعد إحتراق النهار القى بجسدي المنهك للفراش .. لحظات ويغلبني النوم.. لم يكن شيئا يكدرني ، ولاشيئا يشغل بالي..هكذا هي دنياي لم أعرف في حياتي العنف أو الصراع الوحشي من أجل العيش أو قسوة الحياة اليومية ، فقد كانت رحلة حياتي تبدأ من منزل العائلة إلى مكتب والدي بديوان البلدية ثم البحر وتنتهي بالعودة إلى المنزل هكذا هي رحلة حياتي اليومية لم أفكر في طفولتي أن أبتعد كثيرا عن شارعنا وميدان البلدية والبحر المقابل لمنزلنا .. كان البحر إدماني الذي أمارسه كل يوم ..لم أكن آنذآك أعلم بأن ذاكرتي كانت ترصد بدون وعي مني كل الأشياء التي تهجرنا متى تشاء وتعاودنا متى أرادت.. إن أبي - رحمه الله- هو وحده من كان يقوم بتشغيل الراديو الكبير الحجم والذي كان يعمل بالكهرباء ويثير في نفوسنا الكثير من الدهشة والإستغراب والذي يدل في شارعنا على أننا مستورين ماديا وبأننا نمتلك الكهرباء ولهذا كانوا أقارب أبي يجتمعون بمنزلنا كل مساء كانت الحياة تمضى بطيئة ، ولكنها أيامها كانت أكثر سعادة ..معالم كثيرة لهذه الحياة , مرتبطة بذاكرتي ولم تختف.. في نهاية هذا العام سوف أكمل عامي السادس وهو عام بدء معرفتي للعالم وسوف أتعلم كيف أمسك القلم وأتعلم أبجديات الكتابة ، وأعرف ألف باء الحياة ، وسوف أذهب للسوق وحدي وأشتري الدقيق لأمي كي تعجنه ، وأذهب به إلى (الكوشة) لتخبزه وسوف أعرف معالم المناطق المجاورة لشارعنا سأصحو في الصباح الباكر وسوف أمارس بالمدرسة تمرينات الصباح الرياضية وأنشد مع التلميذات (يابلادي) نشيدنا الوطني والأهم من كل ذلك سأرتدي الزي المدرسي وسأغسل وجهي وحدي بالصابون الوسيلة الوحيدة آنذاك لغسيل أجسادنا..كنت أشعر بمتعة غامرة تشيع في نفسي مزيد من الحيوية والنشاط ..لا أعرف سبب بكائي أمام كل الطالبات في يومي الدراسي الأول فمنذ أن إنفلتت أصابع أبي من بين أصابعي شعرت بالخوف وكأنها إشارة الحياة الأولى لي..

فعندما غادرني أبي ..تركني في الفراغ وكلما تباعد عني شعرت بالحزن.. وكأنني سقطت في أعماق هوة سحيقة .. ليتنا نستطيع أن نعيد الماضي كما نعيد ترديد الأغنيات.. كلما أبحرت بي سفينة ذاكرتي.. أرى أبي بقلبي المشتاق إليه.. واعلم أني لن أراه ..ولن يعود.. ويطغى علي حنانه وطيبتة التي لاتضاهيها أي طيبة ولا أي حنان ..هكذا كان يومي المدرسي الأول كنت في شوق للعودة لحضن أمي لكي أحكي لها حكايات لم تحدث..كنت أريد أن أسمع صوت هدير البحر وصراخ إخوتي وأخواتي كنت أريد أن أغلق كل النوافذ والأبواب وأسجن نفسي بالمنزل ولن أغادره كنت أبحث عن الأمان والخوف من العالم الخارجي المجهول.. سألني أخي الأكبر

- مابك أراك باكية؟ ماالذي حدث لك؟
- أخبرته بأني خائفة ولن أذهب إلى المدرسة مرة أخرى ولن أترك أمي

صرخ في وجهي :

- لقد بالغ أبي في تدليلك ..أنت فاشلة وسوف تبقين فاشلة دائما !!..

وللمرة الأولى شعرت بأنني أستطيع أن أرد عليه ولكني تمتمت أنا متعبة.. وأريد أن أنام في حضن أمي.. وبكيت كثيرا واستعطفته بأن يتركني فلم يقبل رجائي وظل يتلفظ بالفاظ قاسية ويتهمني بالفاشلة برغم انه اليوم الأول لي بالمدرسة وغادرنا وهو غاضب وأنا مندهشة من تصرفه هكذا معي فأنا لم أعتد أي إساءة منه إلي قبل هذا اليوم فقد كان أخي الأكبر كريما معي وهو من علمني السباحة فلقد كان سباحا ماهرا عاشقا للفن والفنانين ، قليل الحديث معنا ولايكترث بنا ـ ولا حتى بشقيقته الوحيدة ، ولكن هذه المرة كأنه كان يتحين الفرصة ليبوح بمكنون صدره أو كأنه كان يقصد أمي بحديثه عني فهو لم يألف حياتنا في أي يوم من الأيام بل كان دائم النزوع للحياة بعيدا عنا برغم الإستقرار الأسري الذي يجمعنا إلا أنه كان ينفر منا جميعنا أحببت المدرسة وصادقت فيها صديقات جدد من غير صديقاتي بنات الجيران ،

وكنا نسعد كثيرا بفسحة الإفطار التي تصل إلى نصف ساعة، نمارس فيها شتى الألعاب التي تقتضي أن نشترك فيها جميعا (النقيزة) ، (ونط الحبل) وغيرها وكنت دائما أشترك بكل الألعاب واشتهرت في داخل المدرسة بإسم ذات العينين العسلتين - نفس الإسم الذي أطلقه علي أقران أبي - والبائع الذي على ناصية شارعنا والذي كان يترك زبائنه عندما يراني ويخرج من المحل صائحا:

- أهلا يا (الخرشة)

وكنت دائما ما أتحاشى رؤيته. كتحاشي لحارة اليهود المجاورة لميدان البلدية وكنا نتزاور أنا وصديقاتي الجدد بعد إنتهاء اليوم الدراسي وفي الجمع والعطلات نذهب للزاوية (الرفاعية) نشاكس كل شئ ، وكثيرا ماكنا نقابل أخي الذي يصغرني والذي ولد معاقا وكان يتعلثم بكل الكلمات إلا أنه كان يصدح بأغاني (الدوكالي) ، (والخياط) مقلدا لهما وبطريقة غنائهما .. وخصتني أختي الكبرى بعنايتها وأذكر أني تعرفت على كل صديقاتها وكنت في أحيان كثيرة أذهب بصحبتهن للتفرج على الألعاب والملابس المعروضة على أرصفة(شارع عمر المختار) وكانت صديقاتي صديقات أختي الكبرى التي لم يفصلني عنها أي شئ حتى بعد ما أخبرتني أمي ذات يوم بأنها ليست شقيقتي..لم يتغير شعوري نحوها قط .. كنا دائما معا .. نحلم معا.. ونلعب معا .. وكنت أشعر بمعاناة أبي والضائقات المالية المتعاقبة والتي كانت تجعله يستدين أحيانا فقد كنت أدرك أسبابه فقد كان منزلنا مفتوحا لأصدقاء أبي والأقارب والمعارف ومن المدهش بالنسبة لي أن معظم من هولاء لم يحفظوا ودا ولا معروفا مع بزوغ نور الشمس تسقط أقنعة الظلام وتكون الغلبة دوما للنور .. وفي هذا النهار تحيطني أشعة الشمس وتدعوني نسائم البحر..أستأذن أمي للخروج تنهرني قائلة

- لقد نضجت الآن والخروج لوحدك أصبح أمرا مستحيلا

- أماه لقد إختنقت فمنذ نهاية العام الدراسي لم أخرج

- لا لن تخرجي بمفردك وهولاء الصبية المشاكسون بكل مكان

- حسنا أمي سآخذ أختي معي فهي ملاكي الحارس والبحر أمام المنزل ولن يطول غيابي..

وبعد عدة محاولات متعثرة وافقت أمي

- لا تتاخري فقبل غروب الشمس اريدك امامي

ومضيت اسحب اختي الصغرى في يدي وهي تصرخ

- لا أريد الخروج فالصبية ينادونني بإسمي الذي كرهته منذ ولادتي

- لاعليك لن يجرؤ فأنا سوف أنهرهم

تشابكت أيدينا وخرجنا معا وطوال الطريق كنت أحاول إقناعها بأن إسمها مثل إسم جدتها وهي أم أبي وقد أطلقه عليك إحياء لذكراها ، ولكن كل محاولاتي ذهبت أدراج الرياح ولم تُجْدِ نفعا ، ولم تقتنع أختي بإسمها الحقيقي وقررت أن تختار هي بنفسها إسما غير الذي أطلقه أبي عليها

ذهبنا ، وبرغم كل تحذيري لها بأن لاتترك يدي إلا أنها فجأة إنسلت أصابعها من بين أصابعي وهربت مني محاولة إجتياز الطريق الفاصل بين منزلنا وبين البحر وماهي إلا لحظة ورأيت أختي الصغرى تطير بالهواء وتسقط جثة هامدة أمام عيناي !! فقد صدمتها سيارة مسرعة..تسمرت في مكاني كما تمثال صنع من حجر..لم أشعر بالناس الذين تجمعوا حولنا لم أشعر إلا بيد أبي وهي تربت على كتفي وتحتضني

- لاتخافي بنيتي أختك مازالت على قيد الحياة وسوف ننقلها الآن إلى المستشفى

مكثت أختي الصغرى في الجبس لعدة أشهر وكنت أنا مرافقتها ، وأقوم بخدمتها فقد أشعرتني أمي بأن الذنب ذنبي وأنا السبب في كل ماحدث ، وعلي التكفير عن ذنبي أنا وأختى التي تصغرني مباشرة والتي كان أبي يشملها بعطف خاص برغم أنها لم تكن إبنته ، بمدرسة إعدادية ، أحببتها كثيرا وصادقنا فيها كل زميلات أختنا الكبرى وكان ترتيبي على الفصل يترواح بين الثانية والثالثة دائما وأكملت المرحلة الإعدادية وكنت مثل بنات جيلي مغرمة بأغاني عبدالحليم حافظ العاطفية برغم أنني حتى الآن لم أتوقف عن سماع أغانيه(رحمه الله)

بل مازلت حريصة على سماع تلك الأغاني الجميلة التي ترتبط عندي بأروع الذكريات وكنت كثيرا ما أردد أغنياته بيني وبين نفسي ، وكنت كثيرا ما أسمع من صديقاتي القريبات إلى نفسي عن الحب وقصص الحب العفوي والعلاقات العاطفية والتي كانت معظمها لم تتجاوز النظرات والإبتسامات فنحن كنا قد تجاوزلنا مرحلة الطفولة ودخلنا مرحلة المراهقة وبدأت بعض كلمات الغزل تداعب أذني وأنا في طريقى من المنزل إلى المدرسة الإعدادية حيث كان شباب المنطقة يتباهون ويستعرضون وأحيانا يفتعلون المشاكل الواهية لكي يلفتون نظري ولكني في معظم الأوقات كنت لا أكترث لهم بقصد أو بدون قصد كنت في بداية مرحلة المراهقة مزهوة بنفسي أسير في الشارع وأنا مدركة بأني ألفت أنظار جميع شباب منطقتنا ، وكنت كثيرا ما أحلم بأنني سوف ألتقي(فتى أحلامي) هكذا كنا نسمي الحبيب وكنت في كل سبت أذهب رفقة أختي الكبرى إلى المركز الثقافي لمشاهدة أفلام(حليم ورشدي أباظة وشادية وصباح) وغيرهم كثير وللحقيقة لم يكن يلفت نظري الشاب الذي يتباهى بعضلاته والذي يسير منفوخ الصدر بل كنت دائما مايلفت نظري الشاب الوسيم الأنيق وكنت أضيق إلى حد الإختناق بمن ينصحني ويمارس علي وصايته ، هكذا علمني والدي والذي كنت دائما معه فهو عقلي الذي أفكر به ومن خلاله أتخذ كل قراراتي وفي ذات يوم طلب مني والدي أن أدخل إلى معهد العلوم الإدارية لكي أتقن عمل الإدارة والسكرتارية وأتعلم الطباعة، كان القرار مفاجئا لي ، وكان علي أن أتخذ قراري ولكنني لم إعتد طوال عمري مخالفة أوامر وقرارت أبي وافقت وانا في داخلي صراع خلفي كيف سأترك صديقات الدراسة وكيف هي الحياة بالمعهد شردت بفكري ونظرت إلى البحر من خلال شرفة منزلنا القابع على مسافة أمتار من البحر كان المشهد مذهلا وغاية في الجمال البحر يتمدد في زرقة حتى يعانق السماء في زرقتها واتخذت قراري سأترك المدرسة واذهب الي المعهد ، انها رغبة والدي وسوف أحققها له، نظرت من شرفة منزلنا لصرخات مجموعة من أولاد شارعنا كانوا يطاردون(قطة صغيرة) يجرون خلفها وفور الإمساك بها يلقون بها في البحر فتظل تموء بصوت يشبه البكاء أو الصراخ تقاوم الأمواج حتى تعود إلى الشاطئ مبتلة تنفض عنها قطرات الماء لكي تستعيد قدرتها على الجري والهروب ولكن في كل مرة كان الأولاد يحاصرونها ويمسكون بها ويرمونها في خضم موج البحر وأنا أشاهدهم وألعنهم في داخلي ، لأنني أعلم يقينا بأن القطط لاتحب الماء

ولم يكن لي القدرة على مساعدتها من براثن أولئك الأولاد الذين لم يتوقفوا عن ممارسة تعذيب القطة وكانوا سعداء وهم يمارسون وحشيتهم على حيوان ضعيف وكنت أريد أن أودع غروب الشمس وما هي إلا لحظات وسمعت خربشة أظافر وصوت مواء القطة أمام باب منزلنا. فقمت مندفعة من مكاني حيث فتحت الباب فتراجعت القطة قليلا ثم دخلت إلى منزلنا ، فقد كانت جائعة ..خائفة ..ترتعش .. فقدمت لها طبق من الحليب وشعرت بالسعادة لأن القطة شعرت بالألفة والطمأنية واستسلمت ونامت تحت قدمي مررت يدي أمسح على ظهرها ورقبتها ، فنظرت إلي وقفزت فجأة على وجهي وغرست أظافرها بعيني فصرخت من الألم فهرع إلى إخوتي وأخواتي وكلفني ذلك العطف الإنساني على القطة المتشردة إجراء عملية على شبكية العين والتي كدت أن أفقد بصري بسببها وكان لسان حالي في داخلي يردد(لقد إنتقمت القطة من كل ما مارسه الأولاد من تعذيب لها مني أنا التي عطفت عليها !! (كانت هذه هي المرة الأولى في حياتي التي أشعر فيها بالعطف على القطط والتي كرهتها فيما بعد وأصبحت مشكلة من مشاكل حياتي العديدة والمتعددة وشمل الغروب المنطقة ، وساد السكون والهدوء ، وبدأ الليل بصمته المهيب فأغلقت باب الشرفة وذهبت إلى فراشي للنوم فغدا سيكون يومي الأول بمعهد العلوم الإدارية ومنذ الصباح الباكر إرتديت ملابس المدرسة وقررت الذهاب إلى المعهد ولكني إستغربت نظرات والدي إلي فسألته :

- هل هناك شئ لايعجبك أبي؟

إبتسم كعادته وقال لي :

- لا بنيتي ولكنك ذاهبة إلى المعهد وليس إلى المدرسة وهذا زي المدرسة الإعدادية؟ فقلت له - :

- وهل للمعهد زي خاصا أبي؟

إبتسم إبتسامة هادئة

- بنيتي إرتدي ملابسك العادية وسوف أصطحبك أنا معي سنذهب للمعهد معا إنه يومك الأول بمعهد العلوم الإدراية وأنا من إخترته لك ليكون سلاحك لكي تواجهين به معارك الحياة

وبرغم أنني لم أفهم ما الذي كان يقصده والدي من كلامه إلا أنني هززت رأسي موافقة على كلامه، واحتوانا الشارع الفسيح أنا ووالدي ، ذهلت وأنا أدخل إلى معهد العلوم الإدارية والذي كان بجوار حديقة وارفة ، كثيرة الأشجار الشاهقة والتي كثيرا ما كنت ألعب بين أحضان الأشجار أنا وأقران طفولتي فرت من بين شفتي إبتسامة.. فقد كان مدير المعهد جار لنا ويعرفنا جميعنا وبدأ يومي الأول بمعهد العلوم الإدارية وكانت تتسلل عيناي عبر زجاج الفصل المغلق وكان يلفت نظري وجود شاب خيل لي أنه كان يرمقني بنظراته من خلف الزجاج المغلق أحسست حينها بأن هناك ثمة شئ في قلبي بدأ يتأجج فلربما يكن القدر قد خبأ لي مفأجأة قد تتحقق ، وقد لاتتحقق !! ، وسرحت بخيالي في أغنية (لحليم) عن الحلم فقد كان الحب بالنسبة لي الأمنية الحلم التي تطفو في عقلي كمراهقة تسيطر عليها المطالبة بحقها المكنون بأن تحب ذلك الحب الذي تلتف حوله هالات الغموض وكتبت عنه آلالف الأغنيات

ومرت الأيام رتيبة مملة بحياتي وكنت مؤمنة بأن كل شئ مرهون بإرادة الله وليس لأحدنا قدرة على الهروب من ماهو مكتوب عليه وفي منتصف العام الدراسي لعامي الأول بمعهد العلوم الإدارية حدث لي ما كنت أنتظره رأيت ذاك الشاب واقفا أمامي ..شعرت بصوته الخافت وهو يقول لي:

- (صباح الخير)

كأنه إخترق قلبي. وغاص في أعمق أعماقي ..ظللت جامدة بمكاني محاولة الهروب من سطوة نظارته (وتمتمت في داخلي يبدو أنني كنت أحلم) فقال لي:

- كنت أسير خلفك وألاحقك كل يوم وأنت لم تشعرين ..كنت أراقبك كل يوم ..وكنت أحسد الهواء –

همست:

- الناس ينظرون -

- لايهمني الناس - يهمني أنا - لاتتعجلي أرجوك إبق للحظة

شعرت بأنه يحتويني من كل جانب وامتدت يده لتدس في يدي ورقة معطرة فانسحبت بهدوء وعيناي تراقب كل شئ بالمكان وطويت يدي على رسالته وشعرت كأنني أحمل بيدي (قنبلة) ستنفجر في أي لحظة وسيطر على كل كياني خوف رهيب وتخدرت كل حواسي وبحركة عصبية وضعت يدي التي تحمل الرسالة على قلبي وإنطلقت بسرعة أحدق بكل المارة لعل أحدا منهم يكون قد شاهدني وأنا أستلم منه تلك الورقة لملمت شتات نفسي وإنطلقت فورا إلى سطح منزلنا وفتحت يدي ففاض عطر الورقة التي كانت بيدي وقرأت بعيني كل أسطرها بل حفظتها حرفا حرفا ، وقررت التخلص منها بأسرع وقت ، فمزقتها قطعا صغيرة ورحت أراقبها وهي تطير في الفضاء وكأنها عصافير بيضاء تحلق من حولي !! وقلت لابد للوردة أن تورق وبأن كل مافي الدنيا صار له مذاق حلو كالعسل ورغما عني كنت أتمايل مع نسمات الشتاء فقلبي البكر قد عرف طعم الحب فأنا الآن بدأت السنة الأولى بالحب وكانت نبضات قلبي تخفق بايقاعات لم أعرفها من قبل كأنها تدعوني للرقص ولكن ضجيج الحياة يقطع علينا دوما تناغم اللحظة فسمعت صوت أمي وهي تناديني فضحكت في جذل طفولي والعالم يتراقص من حولي

- قادمة إليك فورا أمي .

كانت كلماته عالقة بذهني أرددها في صحوي ومنامي أبتسم وحدي أحس بأن شراع قارب الحب يخفق بدقة قلبي الذي يسير في بحوره وصارت صورته لاتفارقني وكنت أنتظر نور الصباح لعلني أراه فهو حتما سينظرني

رحت أتلفت حولي وأنا في طريقي إلى المعهد وأحاول أن أشغل فكري بمشاهدة العصافير التي تقفز بين الأغصان بكل عنفوان وحيوية ..تمنيت أن أكونها ..وصرت أبحث عنه بين الناس فلا أجده ، وشعرت كأن يدا تعتصر قلبي حين عجزت على أن أجده في ذلك الصباح ودخلت إلى المعهد وسالت من عيني دمعة وكأن العصافير قد كفت عن الزقزقة وكل أشجار الحديقة العامة قد تمايلت وطيرت الريح. كل أوراق الأغصان ونظرت من زجاج نافذة الفصل المغلقة ولكني لم أجده بمكانه الذي اعتدت أن أراه به ينظر إلي ويرسل لي منه إبتساماته قبل أن يدس في يدي رسالته

وكانت الأيام تمر وكنت أتلكأ في سيري للعمل لعلني أراه ولكن دون جدوى ويتسع الطريق في عيني ويضيق وتأخذني بانبهار المعروضات بالمحلات والتي لاأستطيع شراءها وكنت دوما تتأرجح في يدي حقيبة سوداء مزينة بخيوط صفراء وكنت أحمل كتبي وأضمها إلى صدري فأنا حريصة جدا على أناقة ملابسي أتباهى بها أمام صديقاتي بالمعهد وفي ذات صباح أصرت والدتي على أن تظفر لي شعري قبل أن أذهب إلى المعهد فقد كانت دائما ماتعرض على شعري الذي يتطاير خلف ظهري وتحت إصرارها وعنادها رضخت لأوامرها وخرجت كما هي عادتي إلى المعهد والظفيرة المزدانة بشريط أبيض على ظهري وكنت عابسة يرتسم القلق على وجهي وفجأة حدث ماكنت أنتظره منذ أسبوع فقد رأيته منتصب القامة يقف أمامي وكأنه خرج من باطن الأرض أسرعت بخطواتي محاولة الهروب وأحسست برجفة تسري بكل جسدي وسمعت صوته قويا واضحا ,

- أعذريني عن غيابي فقد كنت خارج المدينة صحبة فريق النادي فأنا من ضمن لاعبي كرة القدم بالفريق وكانت لدينا مباراة خارج المدينة لقد فزنا بالمباراة نعم وسجلت هدف الفوز وبعد عودتنا إنشغلت بمحل الوالد فقد كان بالمستشفى , فوالدي شيخ مسن وأنت تعلمين أمراض الشيخوخة سكر..وضغط دم..كنت عاجز عن ترك المحل ولو لسويعات لكي أراك

رفعت رأسي ونظرت إليه بتمعن شديد وكانت هذه هي المرة الأولى التي أنظر إليه عن قرب رأيت كل ملامح وجهه بلحظة ورايته يحدق في ويبتسم وكأن إبتسامته الدليل على صدق كلامه وإستطرد في كلامه

- كما أكره صاحب الدكان الذي على ناصية شارعكم إني أبغضه وهو يناديك (بالخرشه) وأكره حتى أصدقاء والدك الذين يطلقون عليك إسم (ذات العينين العسليتين

لم أجعله يكمل كلامه وفررت من أمامه فهو يعرف عني كل شئ وسمعت صوته خلفي

- هل قرأتي رسالتي؟

تمنيت بعدها أن تبتلعني الأرض فقد خيل إلي بأن كل من كان بالحديقة العامة قد سمعه فهززت رأسي يمينا وشمالا علامة بالنفي كانت الحركة نفي أو دلالة بمعنى (لا) ودخلت إلى المعهد لكي ألتقط أنفاسي فقد كنت أرتجف من الخوف وانسحبت إلى الفصل الدراسي وقد إختلطت في ذهني كل الأشياء لقائي به وظفيرة شعري التي أكرهها ويوم دراسي ممل طويل وكان قلبي يحدثني الحب قوة وليس ضعف وأنا قوية فأنا بنت أبي..

وأصدرت حكمي السريع بأنه مختلف عن الجميع فهو إنسان مكافح ورياضي وهو شخص مناسب بالنسبة لي ولكن دون أن أعرف السبب الحقيقي لشعوري إلا أنني شعرت بأنه يحمل هموم كثيرة فوق كتفيه هكذا كان شعوري وأنا التي لم تعرف الحب ولم تعشه إلى الآن ولعل الأيام تبرهن لي على صدق حكمي الذي حكمت به من أول لقاء أستغرق بضع دقائق فقط فكثيرا ما كانت صديقات الدراسة يدور بيننا أسئلة كثيرة وكلها من النوع الذي يدور بين الفتيات عادة عن القلب واخباره فكانت إجابتي دائما بأن دقات قلبي ملكي وحدي ولم يطرق الحب باب قلبي بعد؟ فقد كنت شديدة التحفظ بالحديث عن حياتي الخاصة وكنت حريصة على أن أجبر الجميع بأن يعاملوني بحساب برغم إنني منطلقة كفرس جامح ووديعة كالملاك إلا أنني كنت شرسة جدا في الوقت نفسه مع من يحاول إقتحام خصوصية حياتي أو عالمي الخاص فقد كنت مثل أبي بكل شئ وأعتبره مثلي الأعلى إلى أبعد الحدود وأحبه لدرجة الجنون وحبي له أكثر من حبي لأمي وأخوتي ولا أعرف سببا لذلك وأخذت منه لون عينيه وطباعه فهو يتحدث عن كل شئ إلا خصوصية حياته وحياتنا

فهي صندوق مغلق ولايسمح لأي مخلوق بأن يقتحم عالمه الخاص أو عالمه الوحيد نحن والمنزل الذي من أجله كان يمتلك قدرا خرافيا من التفاني ، ومن الصمود، ومن الإخلاص له وكنت دوما فخورة بكوني بنت أبي وفي إحدى المرات سألت أمي وأنا أتصنع السذاجة عن مدى حبها لأبي فحاولت التهرب من الإجابة فهي إمرأة جادة ولكني حاصرتها بالسؤال فقالت نحن لانعرف معنى لهذه الكلمة ولكنه هو زوجي وأب أولادي وهمست وهو أغلى ماعندي في الوجود كله ثم قالت وهي تظن أني لا أسمعها

- أن السؤال يجب أن يكون لأبيك وليس لي أنا ..!

ولكني كنت على يقين تام بأن أبي رجل ذكي قادر باستمرار على أن يتصرف بذكاء ويكسو تصرفاته بكل حنكة وبرغم كل حبي له وكل حبه لي لم أتجرأ يوما وأسأله عن الحب مثلما سألت أمي عنه فأنا كنت أشعر بأن أمي ليست سعيدة بالقدر الذي يظنه الناس بل بالقدر الذي يحسدونها عليه ولا أعرف لماذا شعرت بهذا الشعور الذي سيطر علي لسنوات وبدون سعي مني ولم يخبرني به أحد وظل هذا الشعور يرافقني طوال سنين عمري كيف عاشت كل هذه السنين مع أبي؟ وكيف أنجبت منه؟ ثلاث ذكور وثلاثة إناث هم إخوتي الأشقاء وقد أخذت عن أمي الصرامة والعناد وبأن قرارها هو الصائب دائما وبأنها على حق دوما كل هذا ممزوجا بطيبة القلب والإخلاص من أجل الآخرين وبرغم أنني لست(آخر العنقود) كما يقولون بين إخوتي وأخواتي ومكاني في الوسط ولكني وبكل جدارة كان لي دائما رأيي وقراري بين إخوتي وأخواتي جميعهم وخاصة بعد دخولي إلى معهد العلوم الإدارية فأنا أمتلكت حرية أن أقول ما أشاء ولكن في حدود كوني فتاة ومن أسرة تحترم العادات والتقاليد وصدري رحب أستمع لكل الآراء ولا أعترف بالهزيمة برغم كل الهزائم التي عشتها في حياتي وربما لم أنسها ولن انساها مع يقيني بأنني لم أكن في يوم من الأيام إنسانة معقدة ولكني لا أحب أن تمر الأشياء علي هكذا بكل بساطة لدرجة السذاجة

إستدرت خارجة لكي أغادر الغرفة دون أن ألتفت إلى نداءات أختي التي تصغرني مباشرة بعد مشاجرة بيني وبينها فهي متمردة بطبعها وتتصرف كيف ما يحلو لها ضاربة بعاداتنا وتقاليدنا عرض الحائط تريد الخروج بالملابس التي تحبها وتصاحب من البنات من تحب ولايهمها كلام الناس ولا سمعتنا ولاسمعة أبي وأسرتي وكلما حاولت أن أشرح لها يتحول الحوار بيني وبينها إلى مشاجرة وأكون أنا الخاسر الأكبر وأندم على أنني تحاورت معها ، وكم من مرة قررت عدم مناقشتها ولكن أعود لمناقشتها من باب الحرص والخوف منها وعليها ..!! ، غادرت المنزل وآثرت أن أسير على قدمي وعندما (أدركت الكورنيش) أحسست برغبة في أن أجلس فوق السور الإسمنتي المواجه للبحر لم تطل جلستي لدقائق عندما شعرت بأن هناك من كان يلاحقني ويسير ورائي ابتسمت للخاطر بأنه لابد أن يكون هو صاحب الرسالة لاعب الكرة التفت ولم أتفاجأ ، تقدم خطوة ليجلس بجواري فنهرته بنظرة فهم بها قصدي فقلت له وعيناي تنظران إلى إنكسار أمواج البحر على الصخور الضخمة

- أرجوك نحن أمام منزلنا مباشرة وأنت ما الذي أتى بك إلى هنا ؟ إرتبك. وقال لي :
- ياعزيزتي أنا أعرفك حق المعرفة وأعرف كل شئ عنك وأعرف حتى ذاك الشاب المغرور المتباهى بغنى عائلته فهو قد ولد وفي فمه ملعقة من ذهب ومضايقته لك أنا ..قاطعته :
- أعرف أنك تعرفني وتعرف إخوتي وتعرف منزلنا وأعرف بأنك كنت تنتظرني ولكن أرجوك أتركني الآن فأنا أريد الرجوع للمنزل ولا أريد أن يراني أحد أتحدث معك

وغادرت الكورنيش ولم أنظر خلفي فقد إستفزني وجوده أمام منزلنا واستفزتني كلمة(ياعزيزتي) أكثر

كنت أسمع تجاوب طرقات يدي على باب منزلنا ولكن لامجيب ثم فتحت لي أمي الباب وبحركة إلتفاف سريعة تعني بعدم الإهتمام بي وبقدومي فوجدت نفسي مضطرة إلى أن أوقفها وأتطلع إلى وجهها لكي أرى إبتسامتها فقلت لها :

- أمي تصرفات أختي لاداعي لها فهي تسئ لنا جميعنا وكان لابد لي من وضع النقاط فوق الحروف وإلا سوف أخبر أبي بكل شئ ..أمي أرجوك إفهميني يجب الحد من تصرفاتها وإلا ...

لم أكمل , فقد قاطعتني أمي

- أنا لعنت نفسي لأنها ولدت

ثم حاولت الهروب من أمامي لتنشغل بأي شئ وقالت وكأنها لا تراني

- أنت حرة أخبري أبيك وإخوتك ، أخبري كل الناس ولكن لاتنسي بأنها أختك شقيقتك وستبقى كذلك إلى الأبد

تسربت الكلمات دون إرادتها فأدركت بأن أختي ستكون عبئا ثقيلا على العائلة كلها

لم أكن أدرك بأنه كان مجرد حلم أو كابوس فقد كانت أختي التي تصغرني في تلك اللحظات كانت تمسك في يدها سكينا كبيرة من النوع الذي يستعمل في الذبح وكانت تذبحنا فردا فردا أما أخي الأكبر الذي غادرنا فكانت عيناه بلون الدم وتنغرس أنيابه في لحمي ولحم إخوتي جميعهم حتى أختي الصغرى تغيرت ملامحها وصارت كدمية مخيفة وأخي الذي يكبرني والذي ذهب في بعثة دراسية فقد رأيته في كابوسي أو حلمي بأنه قد تحول إلى كرة من زجاج باردة المشاعر لأنه كان دائما يعيش لنفسه ولايكترث بشئ إلا نفسه ، أما أخي الآخر فقد شاهدت أن فمه قد إتسع بشكل غريب وكأنه يريد أن يلتهمنا جميعنا وبحثت في حلمي عن أختي من أبي فلم أجدها ، وأختي من أمي فقد رأيتها بلاشعر ورأسها ملساء لامعة ، وبلا حاجبين ، ثم أضاء أبي ضوء الغرفة وتطلع إلي في إستفسار فقفزت من فراشي كالملسوعة بالنار وأنا أردد

- فظيع..رهيب..ما رأيت

- أنه كابوس بنيتي ، كابوس ، مجرد حلم تحول إلى كابوس لاتخافي

- أبي لقد تحولنا كلنا إلى وحوش وكلنا نريد أن نأكل بعضنا البعض

- حتى أنا؟

- لا أبي أنت وأمي وأختي لم أجدكم في حلمي

إحتضني أبي

- إقرئي سورة الفاتحة والمعوذتين وعودي إلى فراشك ستنامين قريرة العين إبنتي ولن تعودك تلك الأحلام المخيفة والكوابيس المزعجة مرة أخرى

لم أجد في نفسي الرغبة لأن أعد الشاي في هذا الصباح، كنت قلقة ومتوترة ، ولم أتناول إفطار الصباح لا أعرف كان يجب أن أتماسك ، ويجب أن أذهب إلى المعهد فاليوم سيكون يوم تخرجي من معهد العلوم الإدارية غالبتني مشاعر الرهبة وأنا أجتاز الباب الرئيسي للمعهد في طريقي إلى القاعة حيث سيتم تسليمي شهادة إتمام الدراسة ورغم ذلك كنت أضم كتبي إلى صدري وفي القاعة قام مدير المعهد بتسليمي الشهادة وعلى وجه إبتسامة

- مبروك الآن يحق لك العمل بمجال السكرتارية والإدارة (همسا)أعتقد أن وظيفتك مضمونة مع الوالد أكيد بديوان البلدية

لم ارد واستلمت شهادتي وقرأتها وأنا في ممر المعهد وبدأت حياتي الوظيفية مع أبي بديوان البلدية وكنت منذ يوم عملي الأول لم أتكاسل في عملي بل كنت شعلة من النشاط وأعمل بلا كلل ولا ملل وكان الكل بديوان البلدية يعرفني تقريبا ويعرفون إسمي منذ سنوات بعيدة فأنا إبنة زميلهم الذي يحبه الجميع ،وبرفقة والد يستطيع مواجهة العالم كله

هذا اليوم كان يوما تعيسا بالنسبة لي فقد كنت عائدة من العمل وصدري منقبض وأشعر بكآبة لم أعرف مصدرها طرقت باب منزلنا ولا أحد يفتح وأهلي ليس من عادتهم التأخر في فتح الباب ورحت أتأكد من عدم وجود أحد بالداخل وفجأة أخبرني جارنا بأن الجميع بالمستشفى فقد تم نقل والدك إلي .لم يكمل جملته وكنت أسابق الريح لكي أصل إلى المستشفى وعند الباب الخارجي حاول الغفير منعي

- إلى أين؟

- إلى أبي ولكني لا أعرف الطريق إبتعد عني

سمعت صوت صرخة مدوية ذهبت في إتجاه مصدر الصرخة وجدت إخوتي، رحت اتأملهم الواحد بعد الواحدة شعرت بأن كارثة قد حلت بنا شعرت فجأة بأن الحياة أصبحت بلا طعم ولا لون صرخت :

- لا لا أبي لم ولن يموت ملعون من يقول أبي مات وسقطت مغشيُ علي

مرت أيام ماعدت أذكرها ، أو أتذكرها بعدما أصابني دوار فاجعة موت أبي يبدو أنني كنت في غيبوبة نسيت بها نفسي ومازلت لا أستطيع نسيان وجوه إخوتي وأمي وهم بجواري بغرفة المستشفى- :

- حمدا لله على سلامتك إبنتي الغالية

- أين أبي ؟ وهل حقا أبي مات؟

- لقد- .... أريد زيارته والآن !..

- إبنتي والدك مات وتم دفنه وانتهت أيام الجنازة وأنت مؤمنة بالله أدعو لله أن برحمة

- إنا لله وإنا إليه راجعون خذوني لزيارته لزيارة قبر أبي

وانهمرت الدموع من عينيي ولكن علمني أبي رحمه الله بأن لا أضع يدي على خدي وأنتظر المصير فيجب أن أذهب لزيارة قبر أبي وأودعه وسوف أواجه مصير حياتي ولن أستسلم للأحزان وصرخت بإنفعال

- الآن سأخرج من المستشفى وأزور قبر أبي

فرأيت كل الأفواه مفتوحة باندهاش ولم يتكلم أيا منهم معي، عندما وقفت أمام قبر أبي واجهت موقف بكل شجاعة برغم أن جسمي كله كان يرتعش وكنت أنتفض من حزني على فقدانه فقد كان بالنسبة لي العالم كله كان أبي، نظرت إلى قبر أبي بنظرة طويلة ولم أقل شيئا وشعرت وقتها بأنني سوف أقتحم الدنيا وحدي فقد حال التراب بيني وبين أبي وإلى الأبد فأنا أقف أمامه ولا أراه وهو لايراني فالدنيا زائفة بل سراب خادع وبعد رحيل أبي فقد فرغ العالم بكل مافيه تمنيت وأنا أودع قبر أبي بأن ماحدث يكون حلما أو كابوسا وبأنني سوف أجد أبي في إنتظاري وسوف أركع لأغسل قدميه بدموعي وأتوسل إليه بأن لايتركني ولكن كان مجرد حلم صعب المنال فقد مات أبي وهذه حقيقة يجب علي تصديقها خرجت من المقبرة أنا وأخي الأكبر

- ألا تأخذني؟ إلى منزل جدك

- ماذا حدث لمنزلنا هل مات ودفن مع أبي في قبره؟

- لا لم يمت ولكن المرحوم كان قد إشترى قطعة أرض وقرر أن يبنى لنا سكنا بثلاثة طوابق وباع منزلنا القديم وقد إستلمه المشترى الجديد

- حمدا لله

- ماذا قلت؟

حمدت الله بأنني لن أذهب إلى منزلنا القديم فأنا لايمكنني العيش فيه بدون أبي تكتمل الأحداث وتتجمع كلها بلحظة وعشنا جميعنا بمنزل جدي وشعرت بأن باب جنة الدنيا قد قفل في وجهي بعد رحيل أبي كنت أجر أذيال حزني وأنا ذهبت إلى عملي كل صباح فقد كان ديوان البلدية بدون أبي سجن ضاع مفتاح بابه وأدركت بأن الحياة بحلوها ومرها مكتوبة علي أن أعيشها في البداية والنهاية كنت أقاوم حزني برغم أني لم أعرف إذا ما كان يحدث لي حقيقة أم حلما؟

لست أدري لماذا تسيطر علي كل دقائق أمور حياتي فأنا أدون على الورق كل شئ لأني أرى كل صغيرة وكبيرة مرت علي لها أهميتها وبأني بمجرد أن أنتهي من كتابة كل أحداث حياتي سوف أمزق كل الأوراق كي لاتقع بين يدي أي أحد فهي حياتي أنا وكل مافيها من أحداث لاتخص أحدا سواي وبعد رحيل ابي تغيرت الدنيا بعيني وتغيرت كل قناعاتي وأصبحت أنظر إلى الرجال جميعهم بأنهم ذئاب بشرية وأسقطت من حياتي (الحب) واعتبرته مجرد لعبة ومن يريدني فليتقدم إلى أهلي فقلبي دائما مايحدثني بأنني سوف أكون على مايرام وسوف أتزوج وأنجب أطفالا فأنا مخلوقة من أجل ذلك وهذه هي طبيعة حياة المرأة كل هذه الأفكار سيطرت على تفكيري خاصة بعد زواج أختاي وأصبح منزل جدي يسيطر عليه الصمت فكل منا صار يعيش مع ذاته وأنا أعيش مع ذكرياتي مع أبي تذكرت كيف علمني قيادة السيارات وتذكرت واقعة زيارة أقارب أمي لنا وقمت بسرقة مفاتيح سيارتهم وقدتها وحدي وكيف خرج أقارب أمي ولم يجدوا سيارتهم فرد عليهم أبي مبتسما أنها هي أعلم بأنها هي من سرق السيارة وسوف تعود فلا تنزعجوا والغريب في الأمر عندما عدت بالسيارة كنت أتوقع بأن أبي سوف ينهرني ولكني تفاجأت بعكس كل توقعاتي فقد إستقبلني باتسامته المعتادة -حمدا لله على سلامتك لقد أقلقتي أقارب والدتك عليك وإنتهى الأمر، كل هذه الذكريات كانت هي سلوتي الوحيدة وأنا المنزوية وحيدة بمنزل جدي

على ما قدرت بأنه لقاء ذلك اليوم إلا أنه كان النهاية فقد تقدم الشاب الذي كان يلاحقني أيام دراستي بمعهد العلوم الإدراية إلا أن أهلي رفضوا طلبه وكانت حجتهم عدم الإقتناع به ليكون زوجا صالحا لي

- إسمعي جيدا نحن أدرى بمصلحتك منك والزواج أقسام
- الأنسب لك نحن من سنتختاره لك
- لايحق لك أن تختاري أنت فنحن أصحاب هذا الحق

لقد إكتشفت في النهاية أنهم يعرفون كل شئ ويعرفون علاقتي القصيرة بذلك الشاب يعرفون كل ماحاولت إخفاؤه في البداية سيطرت علي حيرة لا أول لها ولا آخر ثم أصبح الأمر عادي جدا , بل تعودت أن أتعامل معهم على أساس أنهم أدرى بمصلحتي فأنا منذ وفاة أبي سقطت كل حقوقي وأصبحت أنفذ أوامر إخوتي دون نقاش أو إعتراض كنت فقط أبحث عن الأمان ، عن الإطمئنان فقد أرهقتني الحياة بعد رحيل والدي وأصبح كل مايحيط بي زائف وبأن زمام أموري كلها في يد إخوتي

واصلت صمتي ورحل أخي المعاق بعد سنوات من رحيل والدي رحل في صمت كما عاش في صمت لدرجة أني لا أتذكر تفاصيل رحيله وكأنها دفنت معه

تعثرت حياتي وكانت أمي تأخذني معها في مشاويرها وزيارتها ضاعت خصوصية حياتي وكنت أرافق أمي إلى كل مكان ولم أكن أعرف سبب الحد من حريتي إلا في ذلك اليوم فالقاعدة تقول: يدق قلب الفتاة مرتين، مرة للخطيب الذي إختاره قلبها والتي تشعر فيه بأن وجودها يكتمل بوجوده ولكن تحول الظروف دون إكتمال ذلك ومرة أخرى للخطيب الذي إختاره لها أهلها وفي ذلك اليوم إمتزجت كل الصور بمخيلتي فعندما يغيب الأب ويصبح الإخوة هم من يقومون بدور الأب تظل صورة الأسرة بدون برواز أو إطار وهذا ماحدث معي تماما وهي حقيقة زواجي الأول فقد كانت بالنسبة لي مفاجأة وبالنسبة لإخوتي صفقة تحقق لهم مايريدون فزواج الفتاة ستر لها وبالتالي ستكون مسؤليتي في عنق زوجي وليست قيدا في أعناقهم وبهذا يتم تحريرهم وينقذون أنفسهم من أعباء تحمل مسؤوليتي ولم أصدق بأني أصبحت (عروسة) بالفعل إلا بعد أن إرتديت فستان الزفاف وسمعت أصوات دق النساء على الطبول والزغاريد فادركت بأن الليلة يوم زفافي إلى رجل لا أعرفه ولا يعرفني تساقطت دموعي وأنا أغادر منزل جدي إلى زوج مستقبلي الذي لم يبدأ بعدا!..

تغيرت حياتي رأسا على عقب فقد تغيرت كل ملامح الحياة من فتاة عاشت بالمدينة إلى زوجة موظف بدوي ينتظر مرتبه آخر كل شهر برغم أنه يمتلك مزرعة وأهله يعيشون في بحبوحة من رغد الحياة إلا أن زوجي متمسك بالوظيفة الحكومية. والعمل الوظيفي عنده مقدس ويستنفذ كل وقته وقدراته كما أنه لايؤمن بعمل المرأة ويعيش في براثن التقاليد والتي فرضت علي أن أعيشها فتحولت إلى زوجة بدوية أعيش حياة البادية بكل تفاصيلها حتى ملابسي تغيرت ولبست ملابس أهل زوجي ملابس أهل البادية وطريقة حياتهم وفي بداية حياتي معه كنت لا أقبل منه أي شئ حتى النقود التي كان يتركها لي قبل إنصرافه إلى عمله لم أكن أقبلها ولم اتقبلها فأنا عشت حياتي حرة ولدي راتبي الخاص ولا أقبل أي نقود من أي كان فقد كنت أشعر بأنها ليست من حقي أو أنها أجر على عمل لم أنفذه وكان زوجي قادرا على تطويعي مثلما مايريد وأعتبرني كمادة خام يشكلها كما يريد فأنا مازلت في أول الطريق وفي نظره نبتة يانعة طرية يزرعها بتربته التي عاش بها وتعود عليها لدرجة أني أصبحت نسخة مكررة منه أفتح له باب المنزل بعد عودته من العمل منهكا، متعبا كان لابد من أن أكون في أحسن حالاتي ومستعدة لتنفيذ كل طلباته ولابد من أن يكون الطعام جاهزا وساخنا وبعدها يذهب إلى غرفة النوم ، فساعة القيلولة كانت من الساعات المقدسة التي لايمكن أن تفوته إضافة إلى الواجبات الإجتماعية وما أكثرها عند البادية من واجبات لايمكن له أن يتجاهلها أو يهرب منها وكانت من أولويات إهتمامه أكثر من إهتمامه بي أوبمشاكلي التي كانت كثيرا ماتحدث بيني وبين أهل زوجي .

لقد تحولت إلى إنسانة أخرى فقد تلاشت في داخلي تلك الإنسانة الطموحة وكأنني مند أن غادرت منزل جدي إلى منزل زوجي قد ماتت الإنسانة الحرة لكي تولد في داخلي إنسانة تقيدها التقاليد والعادات وتعودت أن أبلع إهانات أهل زوجي دون إعتراض لقد أصبحت باردة كقطعة من الثلج

- أريد أن أتحدث معك يرد على الفور :
- طبعا ولكن ليس الآن

- أنا متضايقة وأريد الخروج أريد زيارة أهلي طبعا طبعا ولكن ليس الآن
- لدي كلام كثير وأريد أن أقوله لك
- حسنا ولكن ثم يتثاءب
- لدي موعد مهم الآن أنا ذاهب

ثم يخرج ويصفق الباب ويخرج ويتركني واقفة في مكاني فأدرك بأنه ليس في نفسه الرغبة لكي يقول لي أي كلام أو أن يفعل من أجلي أي شئ ، أيقنت أني بزوجي ضللت الطريق

واحتويت داخلي بداخلي وقطعت عن ذهني خيط ذاكرتي بكل الماضي فبعد عام عدت الي منزل جدي أحمل طفلتي في حضني، قلبي يرتجف وأنا أسمع هدير موج البحر ورذاذ ماؤه يبلل أطراف أقدامي وعيوني على منزلنا القديم، تتراقص الذكريات في داخلي في إنسجام وتناغم تعلو خفقات قلبي على مسرى حركة الشارع ، فالمكان وأنا قلبان توحدا أحتضن طفلتي بقوة إلى صدري تحسست كفها الرقيق ويتزاحم ثقل الحاضر فوق صدري فكياني الصامت يملأه ضجيج لم أبح به إلى أحد،أبتسم لإبتسامة طفلتي البكر -أعلم بأن قلبك معي حتى في صمتك ، فيك يضيع إحساسي بالضياع ولن تفارقني مثل ما فارقني الجميع وتركوني لحياتي وحدي وضمت شفتاي ظلمتي كما أنا ظلمت فأهل البادية لايفضلون (الأنثى) برغم أن الأنثى هي العطاء ونبع الحنان ومن خلال التواصل النفسي بيني وبين إبنتي حاولت أن أوضح لإبنتي بعض من أمور حياتي فهي الآن مكن كل أسراري والإنسانة الوحيدة التي أحب أن أناجيها رغم أنها لم تنطق بعد ولم تتجاوز عامها الأول إبتسمت بعذوبة فقلت لها همسا- :عبير حياتي. ليس هناك من يستريح في هذا الزمان والحياة أجبرتني ولكن لله الحمد على كل حال وأرجو من الله ألا تكون حياتك مثل حياتي ففيك أعيش طفولتي وشبابي وكل حياتي وأنت الآن كل عالمي وكل أهلي.

ألم هائل يعتصرني

- أنت كما أنت لم تتغيري ، كثيرة الشكوى
- أنا ؟
- لقد حددنا الأمر وانتهى الحديث بيننا
- لهجتك غريبة هذه المرة
- أنا وعائلتي نحب الأطفال وأريد طفلي هذه المرة ذكرا وإلا
- الذكور والإناث رزق كلهم
- لقد تجاوزت حدودك الآن قلت لك اريد إبنا ذكرا يحمل إسمي وكفى

وزادت الهوة بيني وبين زوجي إتساعا برغم كل تنازلاتي إلا أنه لم يحاول يوما أن يقربني إليه وكانت أوامر أهله بالنسبة له مقدسة ومنطقة محظورة لايمكن الإقتراب منها كل إخوته هم أصحاب القرار الفعلي بكل حياته وحياتي

كل إنسان له إسم يعرف به نفسه ويعرفه الناس وينادونه به إلا أنا فقد قاربت على نسيان إسمي لقد كان يناديني هو وأهله

- بيا.. !!

ولم يكمل أيا منهم بقية إسمي وكنت صابرة مستسلمة لقدري لقد ضاع مني عالم الأحلام النقي البرئ الجميل مبكرا وشغلتني الهموم ولم يدرك أيا من أهلي ما الأمر أو لم يهتم به أحدا منهم ومع زوجي وأهله كأني فقدت لساني يفيض بي الألم والحزن وأتحمله وكنت أحتضن أطفالي الثلاثة وكأني أحتضن الدنيا بما فيها وفي لحظة خاطفة لاتحسب من الزمان جاء زوجي إلى المنزل مبكرا على غير عادته جاءني ينز عرقا وعروقه نافرة يرتجف ..غاص قلبي وإرتعبت، جريت في كل إتجاه وصرخت منادية لأهل زوجي ولكن لم يأت منهم أحد لكي يقدم لي العون ودار رأسي ..

وجاءني الزمان البعيد بوجه شرس ..كم كنت أتوق لإبعاده فقد تذكرت يوم وفاة أبي لقد كانت صورته في تلك اللحظة لاتفارقني حينها دخلت إلى الغرفة التي بها زوجي ففاجأتني رائحة نفاذة لن أنساها ماحييت ..تفرست في وجه زوجي فكان كالحا وبرغم سطوع الشمس شعرت بالعتمة في كل أرجاء الغرفة إقتربت من زوجي أكثر فأكثر أصابني الذعر حين أدركت بأن روحه قد غادرت جسده وتحول إلى جثة باردة بلا حراك وفي عينيه الشاخصتين نظرة رعب ولم أكن قادرة على إنقاذه فمن منا يستطيع إنقاذ جسد من ساعة رحيل الروح إنتفضت كلي فقد كنت ولأول مرة في حياتي أواجه الموت وجها لوجه لقد غادر زوجي الدنيا ولا يمكن أن أستعيده مرة أخرى جاءوا إخوته وأخذوه معهم حتى لم أعد أرى شيئا منه إنتفضت بكلي أمام إخوته ، وفجأة إحتجزوني وأغلقوا علي باب الغرفة فقد نجحوا في حبسي فصرخت

- أعيدوا إلي زوجي

ظللت أصرخ وأصرخ حتى غامت الدنيا بعيني فسقطت على أرض الغرفة منهارة ، فزوجي قد وضع في حفرة الأبد وأهيل على جسده تراب قبره وبين الحضور والغياب بئر العتمة المظلم

فكرت في أن أنهي كتابة مذاكراتي أو يومياتي هنا وأمزق كل الأوراق التي كتبتها ولكني بعدما أعدت قراءتها ثانية سوف أواصل ذكرياتي ومادمت سوف أمزق كل صفحات مذكراتي فستكون متعة كبرى أن أكتب أكثر لكي أمزق بعد ذلك ورقات أكثر .

مددت يدي إلى صندوقي الخشبي الصغير في حجم الكتاب،والذي كان في جب النسيان، جلست وضممته إلى صدري وأغمضت عيناي وكأني أسدل على الحاضر وعلى كل مافيه الستار فصندوقي الخشبي به كل أوراقي أنه خزانة كل أسراري تذكرت الماضي عندما كنت صبية ترقص خلف ظهري ظفيرة شعري التي ظفرتها أمي علي ورأيت كل حياتي كأنني أشاهد شريطا سينمائيا حتى لحظة ما وصلت إليه الآن إمرأة مسنة شبه عاجزة تماما عن الحركة بلا أنيس ولا ونيس،خرجت من صدري زفرة بطعم الحنضل وأنتقلت على كراسي المتحرك إلى مكاني المفضل وبجهد جهيد حاولت أن أتماسك وتسربت يدي إلى الورق

وبدأت أكمل يومياتي مذكرات حياتي والتي قررت بعد أن أكمل كتابتي أمزق كل أوراقي، كنت قد غادرت بيت الزوجية وحيدة كما جئت إليه أول مرة وحيدة، فقد قرر أهل زوجي خروجي من بينهم ومن دون أولادي، حاولت كثيرا البقاء بالمنزل مع أولادي ولكنهم كانوا يريدون التخلص مني بعد وفاة زوجي وتمسكوا بحقهم في رعاية وتربية أولادي بدوني فأنا في نظرهم فتاة مدينة ولا أحسن تربية أولادي وفق عاداتهم وتقاليدهم، ولأني كنت وحدي في مواجهتم خسرت من الجولة معركة البقاء بالمنزل من أجل أولادي فخسرت المنزل وخسرت حق تربية ورعاية أولادي القصر، فخرجت حزينة مكسورة الخاطر، وعند وصولي إلى منزل جدي وحيدة كأن العالم كله قد توقف فالحياة بمنزل جدي لم يتغير بها شئيا أمي معها أختي الصغرى والتي تكره إسمها واستبدلته بإسم آخر ونشرته بين كل صديقاتها بالعمل وصار الجميع ينادونها بإسمها الجديد والذي هي من إختارته ، وشقيقي الأكبر أكمل دراسته بالخارج وتزوج وغادر منزلنا(منزل جدى) ، وشقيقي الآخر كان يقفز من عمل إلى عمل ولم تكن له وظيفة ثابتة ، وأختي من أبي بمنزل زوجها ، كذلك أختي من أمي هي الأخرى مستقرة حياتها بمنزل زوجها ، أما شقيقتي التي تصغرني فقد تزوجت وأبلغتني أمي بأنها تعاني إضطرابا نفسيا وكثيرة التردد على مستشفى الأمراض النفسية ،أما أخي الأكبر فقد باع كل أملاك والدي (رحمه الله) لأنه بحكم الفريضة الشرعية كان وصيا علينا جميعنا فكلفوا أشقائي محاميا لرفع قضية أمام المحاكم ضد أخي الأكبر يطالبونه بحقهم في ميراث أبي (رحمه الله) فقررت الذهاب إلى منزل أخي الأكبر لمناقشته وكانت هذه أول خطوة إيجابية ، إتخذت القرار فيها بنفسي

- دعنا نجد حلا عادلا للموضوع
- أي موضوع..لقد إنتهى الأمر
- هم أرسلوك إلي لمناقشي
- لا ... أنا من جئت إليك بمحض إرادتي ومن دون أن أعلم أحد بمجيئي لم يجدوا غيرك لمناقشتي..هل تذكرين بكائك أول أيام الدراسة. ألم أقل لك بأنك فاشلة وهاهي الأيام والسنون قد أثبتت لك صحة حدسي ، فأنت إنسانة فاشلة وأم فاشلة وستعيشين وتموتين فاشلة في كل شئ

- أخي لن أرد عليك

- ولن تستطعيين الرد علي والآن غادري منزلي وأبلغي إخوتك بيننا المحاكم وسوف أطردكم أيضا من منزل أمي فهو من حقي أنا وشقيقتي فقط

- ولكنه منزل جدي

- أمي (رحمها الله) من كانت تسكنه والآن هيا أغربي عن وجهي يا فاشلة .

خرجت من منزل أخي الأكبر وانفجرت باكية فلم أصدق ماسمعته من أخي الأكبر ولم اتصور بأن ما حدث قد يحدث بيننا في يوم من الأيام واسترجعت كل ماحدث في لحظة لقد كادت يده أن ترتفع ليصفعني لو لم أسارع بالخروج من منزله فهل يعقل أن ماحدث بيننا كان بسب المال؟ وهل للمال كل هذا الطغيان؟ والسلطة ليفرق بين الإخوة ؟ تفجرت في ضحكات هيسترية هي أقرب إلى النحيب والبكاء من الفرح .

ماذا أريد؟ سؤال إلى الآن لم أعرف الإجابة عليه ..وفي الحقيقة فأنا عشت حياتي كلها في حيرة كبيرة.. وهل كل من يعرفني يقول عني أني إنسانة قاسية صارمة تأخذ الحياة مأخذ الجد؟ أما إنني إنسانة فاشلة فوضاوية لاتكترث بالعادات والتقاليد؟ أما أنه يقول هي إنسانة حرة ولم تجد من يحكمها ؟ إنه ظلم الناس وظلم من لم يعرفني على حقيقتي فأنا إنسانة مليئة بالمشاعر عطوفة وعفوية بكل تصرفات حياتي وإنني مشغولة ليل نهار في نوعية العمل الذي أشتغل به..ولم أعتمد في حياتي كلها على أحد..أنا إنسانة تبحث عن ذاتها وأريد أن أكون أنا كما أريد وهذا هو الأهم بالنسبة لي وكل ما في الامر انه يغالبني احساس قوي بان الزواج ليس هو نهاية الامر بالنسبة لي وقد تتزاحم برأسي مشاريع حياتي ولكني دائما صاحبة قرار نفسي ولا أحتاج لمن يساعدني على تحقيق أحدها ولا أريد من يرشدني إلى الطريق فأنا أعرف طريقي بنفسي وأنا صادقة مع نفسي ولم أكذب أبدا على نفسي ولا أبدي أبدا إلا ما أريده فعلا .

لقد أبلغني المحامي بأنه تم اليوم إستدعاءه قاطعت في شئ من الغضب شقيقي الأكبر

- على من تتحدث ؟! ومن هو هذا الذي تم إستدعاؤه؟
- سارق ميراثنا

قاطعته في ود

- من تنعته بالسارق هو أخينا الأكبر فأرجوك لاتنسى هذا
- لقد طمع في رزق أبي وأستأثر به لنفسه كله

نظرت إليه في ود

- قل ماتشاء ولكن لاتقول عنه سارق فلكل منا أطماعه ولايوجد إنسان في الدنيا لايطمع ولا يريد أن يملك كل شئ سوى أمي

ونظرت إلى أمي التي زهدت في كل شئ بعدما أغدقت علينا فيضا من حبها وحنانها يغمرها الآن الشعور بأن الدنيا أثقلت عليها وبأن الأيام القادمة ستكون مشكلتها وهي ترى ما وصل إليه حالنا وتشتتنا أنه واقعنا الذي نعيشه الآن إختلط صوتي بصوت شقيقي وتعالى صوته يحذرني وفي لمح البصر بادرني بكلمات الشتم وبأن الحديث معي مضيعة للوقت وبأنه لابد من أن تفرض على رقابة محكمة فأنا أرملة ولايجوز لي الخروج إلا بصحبته أو بصحبة أمي

- أرجوك أخي لاتتدخل في شئوني الخاصة والرقابة التي تتحدث عنها فأنا طوال عمري أفرضها انا بنفسي على نفسي ولم أنس قط أني أرملة وكنت أتمنى أن تفتح لي قلبك بدلا من أن تهاجمني وتشتمني وهل هناك خطأ أكون قد إرتكبته دون أن أدري فانا كما تعرفني أتصرف دائما على سجيتي ،لم يرد علي أخي بكلمة واحدة بل تركنا وخرج هاربا وطاردني نفس السؤال :
- لماذا يتعامل إخوتي معي بخلاف ما يتعاملون به مع باقي أخواتي؟

سمعت في الراديو إعلانا عن طلب مضيفات للضيافة الجوية وكل المسوغات المطلوبة شروطها تنطبق علي فقررت أن أتقدم بطلب وظيفة للعمل بالضيافة على متن الخطوط الجوية فبعد موت زوجي تمنيت أن أحلق على متن طائرة لكي أسبح بالسماء كما كنت وأنا صغيرة أسبح بالبحر تجربة جديدة سوف أعيش غمارها فأنا خلقت لكي أكون حرة طليقة أسبح في كل بحور الدنيا والسماء

منذ عودتي إلى منزل جدي عادت إلي ثقتي بنفسي وكأني أستعدت من حضنه صوت جدي القوي والذي كنت أهرب منه خلف شجرة باسقة مثقلة بالثمر وأتخيل نفسي أنني أصبحت ورقة في أغصانها المترعة بالحياة. وعندما يكتشف جدي مكاني كنت الوذ إلى حضن جدتي خوفا من سطوة جدي لكي تحميني في حضنها الوثير وصدرها الرحب،عودتي إلى منزل جدي عودة الروح والإرتواء من الزمن الموفر بالمحبة والود الخالص فقد كانوا الأعمام والعمات يجتمعون جميعهم مع أبي يوم الجمعة بمنزل جدي رحم الله من رحل وأطال الله عمر من بقى ولم يرحل وفي عيد الأضحى كنا جميعنا نجتمع وكان جدي يلح علي في إصرار بأن أحضر لحظة ذبح الأضاحي وكان يوكزني بطرف عصاه ويناديني (بالقرنة) لاقتران حاجبي بعضهما ببعض مثل هلالين على عيني وكنت أكره هذا اللقب كثيرا وكان جدي يصر عليه برغم رفضي الواضح في صمتي وكثيرا ما كان هذا اللقب وإستفزازي يثير الضحك عند أعمامي وكان والدي رحمه الله المتعلم الوحيد بين إخوته فكان يبتسم ويقول لي :

- أنت مثل جدتك بكل شئ حتى بطيبة قلبها أنت مثلها ،

لم يملأ فراغ غياب جدي وجدتي وأبي وبعض من أعمامي بمنزل جدي أمي لم تكن غيرها أمي تدخلني قلبها وتغلق عليه كي لا أضيع وسط زحام الناس بالحياة وحدها أمي التي كنت ألوذ بصدرها الدافئ فتحيطني بكلي , لذا قررت قبل ذهابي لشركة الطيران للمقابلة للمضيفات الجوية أن أتخلص من حاجبي المقترنين فذهبت إلى إمرأة تجيد الوشم فوشمت لي بين حاجبي لكي لايلتصقان من جديد وبرغم ألم وخز الإبر إلا أني تحملت كل ذلك حتى أتخلص من لقب (القرنه) فيكفيني بأنني (الخرشة) أو (الشهباء) أو ذات العينين العسليتن وبعد قبولي كمضيفة جوية كان لابد لي من دورة إعداد للعمل كمظيفة جوية وكانت الدورة خارج مدينتي وهذه مغامرة أخرى تحتاج لموافقة إخوتي فقلت في نفسي :

- إذا أراد الله. لي العمل كمضيفة جوية فلن تمنعني إرادة أحد بعد إرادة الله إرتشعت وتمتمت ليت أبي بقى ولم يتركني ويرحل فحتما ما كان ليتخلى عني في هذا الوقت الذي إحتاجه فيه فأنا أشعر بأني بدونه ضعيفة ولا أستطيع مواجهة الحياة وحدي ولكن لا راد لمشيئة الله ورحم الله والدي

أتممت الدورة التدريبية للضيافة الجوية وكذلك الدورة العقائدية فقد كنا أول عناصر نسائية وطنية تعمل بمجال الضيافة الجوية وبالذات أول رحلة لي على متن طائرة بصفتي من الطاقم الجوي للرحلة وذهبت إلى منزل جدي والذي كان يسكنه شقيقي الأكبر وأمي وأختي بعد أن هجر أعمامي وعماتي منزل الجد، ذهبت أرتدي زي المضيفة الجوية، دخلت على صوت شجار بين أشقائي بشأن القضية المرفوعة منا ضد أخينا الأكبر والذي إستولى على كل ميراث أبي واستثاره لنفسه فقررت إنهاء النقاش- :نحن إخوة وسنظل إخوة إلى الأبد ولن تفرق بيننا كل أموال الدنيا فرد شقيقي الأكبر :

- لن أتنازل عن حقي أبدا أبدا

- بل ستتنازل من أجلنا جميعا ستتنازل ،

وتم التنازل عن حقنا بالقضية المرفوعة بالمحاكم ضد أخي الأكبر، وهذه ثاني معركة أخوض غمارها بعد معركة العمل بالضيافة الجوية وأنتصر بها على نفسي .

هل هو سوء طالعي؟ أم أنه قدري؟ أم أن الحياة تصهرني لمواجهة كبرى؟ ماعدت أفهم ففي أول رحلة لي خارج الوطن شب حريق بأحد محركات الطائرة وكان مطلوبا منا تهدئة ورع الركاب فقد كنا نشاهد محرك الطائرة يحترق وألسنة النيران تزداد سعيرا، لقد كنا جميعنا في حالة رعب وخوف ولكن بقدرة الله وبحنكة قائد الطائرة حطت بنا الطائرة على المهابط ولم يصب أحدا منا بأي ضرر يذكر وكان لزاما علينا نحن طاقم الطائرة المبيت بأحد الفنادق وكانت أول مرة أبيت فيها بغرفة وحدي ولكني من الخوف لم أحتمل الوحدة وأمضيت الليلة بغرفة زميلتي أنام على مقعد بغرفتها تاركة غرفتي خالية وأذكر أيضا حالة أخرى مررت بها في عملي كمظيفة جوية وهي حالة ولادة لسيدة كانت من ضمن ركاب الطائرة في إحدى رحلات الخطوط الجوية وقد تصرفت مع السيدة بخبرة وتمت الولادة على خير ولله الحمد وصفق لي الركاب ولكن سألني زميلي المضيف :

- هل عملت بالتمريض قبل عملك بالضيافة الجوية؟

- لا

- من أين لك كل هذه الخبرة؟

لم أجبه لأنني عندما تقدمت لوظيفة العمل كمضيفة جوية قدمت لهم أوراقي على إنني فتاة ولم أتزوج لأنه كان من شروط القبول والعمل بمجال الضيافة الجوية وخاصة العنصر النسائي كان يشترط عدم الزواج وكان شرطا أساسيا من شروط القبول

ذهبت إلى أمي أتصبب عرقا ويقبض الحزن ملامحي

- مابك إبنتي
- أعتقد بأنهم بالعمل قد كشفوا سري
- إنه الحسد إبنتي ، أنت محسودة والعيون كلها عليك

لم أرد فقد كان يقبض الحزن قلبي فأنا قاب قوسين أو أدنى إذا ماعرفوا بأني كنت متزوجة فسوف أفصل من الضيافة الجوية

- إنهم في حاجة إليك
- القوانين لاتتغير أمي من أجلي
- قلت لك إنه الحسد الكل يحسدك على عملك إسمعي سوف أقوم بزيارة إلى الشيخ إنه بمقام الولي الذي أطلقت عليك إسمه تيمنا ببركته يكتب لك حجابا يمنع عنك الحسد
- أمي وماذا يفعل الحجاب حين ينكشف الحجاب .

حريصة أنا في كتابة كل التفاصيل بحياتي لأن كل ما أكتبه على الورق بمذكراتي أو يومياتي أرى له أهمية خاصة لأنني أحتاج إلى كل التفاصيل وأدققها فهي التي كونت شخصيتي وكانت همزة الوصل بيني وبين العالم الذي أعيش فيه إضافة إلى إصراري الذي سيطر علي بأنني سوف أمزق كل الأوراق التي كتبتها فحياتي ملكي وحدي ولا يحق لغيري معرفة تفاصيلها وحديثي حديث نابع من أعماقي ومن حقي البوح لذاتي عن ذاتي فبعد فصلي من عملي كمضيفة جوية بعد عمل متواصل

ولمدة ثلاث سنوات عدت إلى منزل شقيقي الذي إنتقلت أمي وشقيقتي الصغرى للعيش به مع شقيقي وزوجته بعدما باع أخي الأكبر منزل جدي مثلما باع كل ميراث أبي ، تكدسنا جميعنا بشقة صغيرة إزدحمت بوجودي كظيفة غير مرغوب بوجودها ولكنها الحياة تفرض علينا أشياء رغما عنا ننفذها بدون إرادة منا أو رغبة إنها القوالب الجاهزة التي نوضع بها عنوة ، عدت وكان من الضروري البحث عن عمل وفي أي مجال خاصة وأنا أحمل شهادة متوسطة للعلوم الإدارية فلجأت إلى زوج أختي من أمي والذي كان بالنسبة لي بمكانة الأب من الدهر ألوذ به كلما زادت علي ضغوطات الحياة القاسية كما أنه هو من ساعد شقيقتي الصغرى للإلتحاق بمعهد التمريض فزوج أختي من أمي كان لي السند والمعين لنا فبعد فصلي من عملي كنت مستعدة لدخول أعنف المعارك من أجل بقائي والإستقلال بحياتي الخاصة وأرجو ألا تفسر هذه الجملة بتفسيرات أخرى فالحرية في نظري لاتعني الإنحلال والإستقلالية لاتعني التفسخ الإجتماعي فحياتي مهما طالت أو قصرت لابد لي من أن أعيشها كيف ما أريد أنا أن أعيشها فقد تعودت الهزائم ولكني لم أهزم بداخلي بكل هزيمة عشتها كنت أخرج منها وأنا أكثر قوة وصلابة وتحدي لمواصلة حياتي وتحقيق هدفي بالحياة في أن أكون أنا كما أريد أن أكون وليس كما تريد لي الحياة بأن أكون وكنت مُصرة على تحقيق كل طموحاتي بالحياة ولن أغرق ببحر الحياة مهما زادت أعماقه عمقا إلا أن يقيني بأنني أستطيع مواصلة السباحة ولن أغوض بالأعماق ولن أتحول إلى إنسانة مهزومة معقدة منطوية على ذاتي بل ساستقبل بصدر رحب كل الهزائم فأنا أمتلك إرادة فولاذية وساعيش حياتي كما يقولون بالطول وبالعرض فأنا إنسانة تهوى المستقبل ولاترضخ للواقع خاصة بعد فشلي في الإحتفاظ بأولادي بعد وفاة زوجي ولكن قلبي يحدثني بأنهم سوف يعودون إلى حضني ذات يوم ولن أتقيد بتاريخ لقائهم لأن لقاءهم سيكون أمرا طبيعيا وحتميا هكذا أكد لي قلبي الذي لم يخدعني إحساسه أبدا طوال حياتي

لابد لي أن أكون كيانا مستقلا فأنا لست ضعيفة الشخصية حتى وإن كنت أمتاز بالطيبة ونقاء القلب والعفوية والبساطة إلا أني لدي المقدرة في أن أتعلم من هزائمي وأولد من جديد ولن أسمح لأي أحد أن يفرض علي شروط حياتي والواقع يؤكد لي بأن كل شئ يسكون حتما على مايرام سأعمل وأتزوج وأنجب أطفالا وسأعيش حياتي وإنشغل عقلي بالعديد من المسائل وكلها تستحق الإهتمام وخطوت أول خطوة في طريق عملي الجديد إدارية بدار إيواء الفتيات القصر وبرغم إني لست مصلحة إجتماعية إلا أنني أحببت عملي منذ اليوم الأول لإستلامي وظيفتي بالدار .

ومنذ دخولي إلى بيت القاصرات ورأيتهن وهن يلعبن وبكل عفوية وبساطة وهن في غاية البهجة والفرح)النقيزة) (ولعبة كارو كاليص عربية شنطة قلم محاية) والداليا , تذكرت شارعنا القديم ومنزل أبي القديم والحجرات المتلاصقة والسقيفة التي كان يتوسطها كانون النار للتدفئة في أيام الشتاء حيث كنا نجتمع حوله جميعنا حيث كانت أمي تعد لنا(الشاهي والكاكاوية) ونستمع منها إلى الحكايات والخرافات المليئة بالعبر والحكم وكنا أيضا نتسامر بالألغاز (ياحزارك يامزارك) ونلعب معا (كمادي كمادي) ولعبة(باب حديد أطلع من هنا) ولعبة (هضا شنو كريكما) عندما كانت تجمعنا(قصعة) الوجبات البسيطة سواء كان حساء أو مقطع أو شرمولة والسحلب بالقرفة التي كانت تعده لنا أمي منذ الساعات الأولى للصباح قبل ذهابي للمدرسة فقد كانت البركة في الموجود دون أن يعترض أيا منا على نوع الأكل وعمود النور الذي كان بالقرب من مسكننا وكيف كانوا أصدقاء أبي يتسامرون على ضوئه تذكرت طفولتي البريئة وألعابنا البسيطة بساطة حياتنا كيف كنت أقف تحت ميزاب مياه الأمطار وهي تغلسني وأنا فرحة بكل قطرة من قطراتها والبحر والكورنيش المقابل لمنزلنا القديم عادت بي ذاكرتي إلى مدرستي الإبتدائية والزي المدرسي الموحد ومدرستي الإعدادية والمعهد الذي كان يطل على الحديقة العامة عاد بي شريط الذكريات إلى أولادي الذين لم أرهم ومنزل جدي الذي كان به أكثر من خمس حجرات وفناء واسع تدخله الشمس من كل مكان و تتوسطة شجرة شاهقة (والماجن)الذي تتجمع فيه مياه الأمطار للشرب تذكرت جدي بحنانه المغلف بالقسوة والصرامة وطيبة جدتي وأعمامي وعماتي تذكرت لحظات كل شئ عن ماضي حياتي لربما لكي أزيل عن نفسي الخوف فأنا سوف أتعامل مع فيتيات قاصرات بلا عائل أو لربما تخلى العائل عنهم لسبب ما أو بدون سبب وبعض من النزيلات القاصرات جئن إلى الدار نتيجة لجرم إرتكبه الأب والأم فدفعوا الأبناء الثمن .

ولكن كان العمل هو سبيلي الوحيد لكي أكون أنا كما أريد أن أكون , وفي مكتب مديرة دار إيواء القاصرت قابلته ولم تكن المرة الأولى التي أراه فقد رأيته من قبل ولأكثر من مرة فلماذا يختلف لقائي به هذه المرة عن كل المرات السابقة ؟ فأنا أعرف بأنه يعمل مدرسا في مدرسة إعدادية وهو خال مديرة دار إيواء الفتيات القاصرات رحبت به بأن هززت رأسي وفوجئت بأنه عندما أمسك يدي مصافحا إستبقى يدي بيده مدة طويلة فشعرت بقشعريرة تسري بكل ذرات جسدي شعرت بشعور خفي يشبه الخدر عندما لامست يدي يده وتعلقت عيناي بعينيه ولم أستطع أن أتجاهل نظراته إلي فقد كان وسيما لبقا هادئا ومتزنا قليل الكلام فهل هو الحب قد عاد ليطرق باب قلبي من جديد؟

إستغرقت في عملي الجديد بكل جد وإجتهاد ولكن صورة ذاك الشاب الوسيم لم تفارق خيالي ولم يستمر إنتظاري طويلا حتى رأيته يدخل مكتب مديرة الدار غمرتني رغبة جامحة كي أسير نحو المكتب كنت أخطو خطوة وأرجع خطوتين وبين كل خطوة وخطوة كنت ألتفت وكأنني إرتكبت جرما وفجأة نادتني مديرة الدار بترحاب نادتني وعلى شفتيها إبتسامة تبعث على الإطمئنان أكثر مما تبعث عن الريبة

- لو سمحتي تعالي إلى مكتبي

الآن زادت رهبتي للحظات خاطفة ووجدت نفسي أمامه مباشرة

- هل تسمحين لي أن أناديك بإسمك بدون القاب؟

هززت رأسي

- نعم أسمح لك بذلك

- لا تتعبي رأسك بالتفكير، حاولي أن تستريحي

سحبني من يدي لأجلس إلى جواره أمام منضدة مكتب مديرة الدار

- كنت متزوجة

- أرملة

- لديك أولاد
- نعم ثلاثة ولم أرهم منذ وفاة والدهم
- أنت عزباء الآن؟

صحت دون ان ارفع صوتي :

- نعم ولماذا كل هذه الاسئلة؟
- اسمعيني انا مدرس رياضيات واعرف لغة الارقام ولا اجيد الحديث فانا تعودت ان اصل الي هدفي مباشرة
- حسنا.. ماذا تقصد ؟ولماذا كل هذه التفاصيل؟ ولماذا انا بالذات تروي لي كل تفاصيل حياتك؟

اقترب مني اكثر

- لاندم على الامس ، فالامس قد مضى والحاضر ها نحن نعيش به والغد في علم الغيب
- لم أفهم
- إبنة أخي رئيستك في العمل

أحسست بشعور فرح يداهمني وكنت سأتكلم فقاطعني :

- هل تقبلين بي زوجا؟ لاتجيبي الآن فأنا ليس لدي مانع من أن تفكري قبل أن تتخذين قرارك ولكن لاتطيلي إنتظاري فأنا لا أستطيع الإنتظار طويلا ؟ هل سمعتي ما قلت؟

خرجت ولم أدر إلى أين أذهب فقد كنت في حالة ذهول يشبه الخدر فهل يعقل بعد أربع سنوات منذ وفاة زوجي ومع كل هذه الآلام تبتسم لي الدنيا من جديد وأستعيد كينونة كأم وزوجة وأعيش حياتي كإمرأة فارتفعت في داخلي صيحة الفرح :هو من إختارني.. وطلبني للزواج !! وهذا الذي يؤكد لي أنني أعيش واقعا ولم يكن ماحدث بمكتب مديرة الدار مجرد حلما ؟

دخل الفرح إلى حياتي وأصبح لي بيتا مستقلا الآن أستقر فيه مع زوجي وأولادي الأربعة ثلاثة بنات وإبنا وكنت دائما أمازح إبني وأقول له- :محظوظ أنت ، فأنت أميرا محاط بثلاثة حوريات ولم تكن هناك مشاحنات ببني وبين زوجي بل كانت المشاحنات دائما مع أخته تلك الأخت التي ترفضها عائلة زوجي كلهم دون إستثناء فقد كانت من النوع الذي لايستحق الإهتمام ثم لاعلاقة لي بشؤون الآخرين فأنا أعيش حياة مستقرة ومحتفظة بوظيفتي سيدة نفسي أعطي وقتي كله لزوجي وأولادي وعملي شامخة بكرامتي في عملي ومع أهل زوجي ولكن الحياة لاتجعلني أسير كما أحب بل بدأت تزرع الأشواك في طريق حياتي من جديد كنت أحس بأن زوجي بدأ يتغير يطيل السهر خارج المنزل وأصبح لايكترث لمشاكل المنزل ولم يعد يستمع إلي ولم يكن يناقشني بكل صغيرة وكبيرة كما كان يفعل بل أصبحت بحياته كما مهملا وماعاد يسألني عن مواعيد خروجي من المنزل أو عن مواعيد عودتي أخرج وقت ما أشاء وأعود وقت ما أشاء فبعدما إنطلقت في رحاب عالم السعادة إكتشفت السر الغامض فقد علمت يقينا بأن زوجي تحول فجأة إلى رجل (سكير) وماعدنا أنا وأولادي نعني له أي شئ يذكر وتحولت بالنسبة له إلى مجرد مصنع للإنجاب وإمرأة تحقق له رغباته وقت مايشاء ولا شئ أكثر فسقط قدر زوجي من عيني وتجمعت هموم الدنيا مرة أخرى من حولي ..أي لعنة هذه التي تطاردني؟

ومهما كان الوهم مقنعا إلا أنه يظل وهم وأنا لن أعيش في الوهم مرة أخرى وسوف أمتلك مقاليد قيادة نفسي ولن أتنازل عن أولادي أبدا فيكفيني أنني تنازلت عن أولادي أول مرة لذا سوف أتمسك بهم وأتحول إلى (نمرة شرسة) إذا ما إقتضى الأمر ذلك ، أتنازل عن كل شئ بالدنيا إلا أولادي وسأخوض غمار الحياة فأنا برغم كل الهزائم إمرأة لم تهزم

وبدأت أوزع الوقت على العمل فأنا الآن مسؤولة عن أولادي وحدي فذهبت إلى مدارس تعليم القيادة خاصة بعد أن إنتشرت بالمدينة قيادة المرأة للسيارات فخطر ببالي أبي وكيف كان يشجعني على تعلم قيادة السيارات عادت بي الذاكرة إلى ميدان البلدية والعربيات التي كانت تجرها الخيول وقد حجبت عيونها قطع من الجلد الأسود (الحنتور) وهي تصطف بانتظام أمام الجامع العتيق وكان العرباتجي بيده سوط يضرب به الحصان تارة ويضرب به من يتجرأ على الركوب خلف العربة

وكان الحنتور بزمن طفولتي يقوم بدور تاكسي هذا الزمان تذكرت كل هذه المشاهد وأنا أقود سيارة تعليم القيادة وبجوار إمرأة أعلمها كيف تقود السيارة فقلت همسا سبحان الله الذي يغير ولا يتغير فكل شئ قد تغير إلا الامكنة تظل كما هي تذكرنا بأيام طفولتنا وصبانا ونتيجة لممارستي لعملي الجديد ذهبت إلى مديرة دار إيواء القاصرات وطلبت منها نقلي من عملي كإدارية إلى عمل مشرفة ليلية فقالت لي :

- ستخسرين مكانتك الوظيفية وستخسرين كل مميزات وظيفتك

- لا يهم فأنا الآن كل مايهمني بهذه الدنيا هو تربية أولادي والمحافظة على مستواهم المعيشي فأنا خسرت حياتي ولن أخسر أولادي

واستمر عملي صباحا ومساء مابين تعليم قيادة السيارات والإشراف الليلي بدار إيواء القاصرات ، وذات ليلة كنت أنا المشرفة والمسئولة على الدار قررت أن أشارك(طباخات الدار) في إعداد وجبة عشاء نزيلات الدار وكانت إحدى الفتيات القاصرات تساعدنا في إعداد وجبة العشاء وكنا جميعنا في غاية الإنسجام وبعد أن نضج الأكل ذهبت أمام من يقمن بتوزيع العشاء على عنابر الفتيات القاصرات وبحكم أنني المشرفة الليلية كانت كل مفاتيح الدار بحوزتي وبمجرد أن أدرت مفتاح أحد العنابر وفتحت الباب ماهي إلا لحظة وكنت داخل العنبر و(السكين) حول عنقي :

- نحن لانريد إيذائك فلا تتحركي وإلا غرزنا السكين بعنقك ..نعرف أنك أم وتخافين على حياتك

- هذا تصرف سوف تحاسبن عليه حسابا عسيرا

- لا تنطقي بأي كلمة

- نريد مغادرة الدار والآن فورا

- إلى أين؟

- إلى الخارج إلى الحياة هيا أعطينا مفاتيح الباب وبكل هدوء وإلا ..

ولم أشعر بعدها إلا بقفزة هائلة من إحدى الفتيات على الفتاة التي كانت تضع السكين حول عنقي فتخلصت منها بسرعة وأخذت من يدها السكين الذي قامت بسرقته دون أن ندري الفتاة التي كانت معنا ونحن نجهز معا وجبة العشاء لهن

أنجبت إبنتي الرابعة رغما عني وبعد عامين وجدت فتاة تم إيداعها بالدار وكانت منطوية على نفسها وكانت بنات الدار يعاملنها بكل قسوة فكانت تلجأ إلى زاوية بالعنبر وتتكوم على نفسها وتستغرق بالنوم شعرت نحوها بشعور محبة جارف يجذبني نحوها، إطلعت على ملفها وعرفت قصتها من الألف إلى الياء فهي ضحية أسرة نزعت الرحمة من قلوبهم فالفتاة بعد وفاة والدها وأمها ذهبت إلى منزل خالتها التي لم تكن تنجب وعاشت معها فترة وبعد وفاة خالتها قرر زوجها وهو وريثها إيداع الفتاة بدار القاصرات فقررت أن آخذها إستضافة معي إلى منزلي وعاشت مع بناتي الأربعة وإبني الوحيد وأذكر وأنا حامل كانت المناسبة عيد الأضحى. وكانت مهمة شراء الأضحية من مهام الرجال. وكل رب أسرة هو من يختار لنفسه الأضحية وفي ليلة الوقوف بعرفة لم يذهب زوجي لشراء الأضحية فقررت الذهاب إلى سوق المواشي وأبلغته بذلك فلم يحرك ساكنا فقلت :

- أنا ذاهبة لسوق المواشي وساشتري الأضحية وسوف أقوم برفعه على السلالم للدور الأول وإن إضطر الأمر فسوف أقوم بذبحه وسلخه وتقطيعه بنفسي

وفعلا فعلت وكنت حامل بشهري السادس وبعد رجوعي من سوق المواشي ومعي أضحية العيد قررت طلب الطلاق والإنفصال عنه بشرط أن يتنازل لي عن تربية أبنائي وأتنازل أنا عن كل حقوقي .

تساؤلات كثيرة حيرتني لم أجد لها إجابات تقنعني كيف تحول ذلك الإنسان الطيب الأنيق الهادئ إلى إنسان إتكالي ولايكترث لأي شئ سوى نفسه ليتني أعرف الإجابة وكيف يتحول الإنسان الخلوق صاحب المبادئ إلى مزايد نعم مزايد فقد قدمت له صكا على بياض لكي بسحب لي من المصرف راتبي الشهري فهو لديه توكيل مني يسمح له بسحب أي مبلغ مالي من حسابي الشخصي أتفاجأ بأمر إستدعائي من مركز الشرطة وبشكوى من زوجي بأني كتبت له صكا بعشرة آلالف دينار والصك بدون رصيد وإستمر محضر الشرطة لأيام مفتوحا ولم تتم إحالته للنيابة العامة حتى سووا إخوتي معه الأمر وديا مقابل أن أتنازل عن كل شئ وفعلا فعلت تنازلت له عن كل شئ إلا أولادي واستمرت الحياة أنا مع أولادي وهو يعيش وحيدا وكنا كلنا نعيش بمنزل عائلته ومن خلال عملي المتواصل إستطعت أن أشتري سيارة لتعليم القيادة وبدأت أعمل لحساب نفسي إضافة إلى عملي كمشرفة بدار إيواء الفتيات القاصرات

ولم أستسلم بل كان إحساسي بالثقة يزداد في داخلي إتخذت قرار الطلاق وحكمت على نفسي بواجهة الحياة أنا وأولادي وشغلي الشاغل هو البحث عن منزل يجمعني أنا وأولادي بعيدا عن منزل أهل طليقي الذي كنا نقيم فيه معهم .

لابد لي من الرجوع إلى نفسي بكل شئ ولايمكن للظروف أن تحنيني سوف أقاوم وأتغلب على الصعاب سأكون الأب كما أنا الأم لن أعود إلى تلك المرأة الخانعة الجبانة ولن أضعف ولله الحمد فقد أرسل لي من يعتني بأولادي في غيابي فتاة الدار هي الآن بمكانة الأخت والإبنة وسأحقق الحلم الصعب وفعلا بدأ الأمل يترعرع بداخلي ولن أشكو إلى أي إنسان فشل زواجي الثاني ولن أكشف المستور ولن أبوح بسر ضعف زوجي وتحوله إلى إنسان سلبي إتكالي لايكترث لأي شئ ولايهتم بأي شئ سوى نفسه

- لسانك يطولني تذكرينني بالسوء إنتبهي إلى نفسك

بهذه الكلمات وضعت النقاط على الحروف مع مديرة دار الفتيات القاصرات إبنة أخ طليق وتقدمت بطلب أرجو فيه نقلي من هذه الدار إلى دار رعاية المسنين والعجزة فهم الأحوج إلى رعايتي وإهتمامي من الفتيات القاصرات .

إزدحام الناس بساحة المحكمة والأصوات تختلط وتتعالى وكأن شيء بداخلي يناديني ..يزداد صوت النداء ويختلط مع صوت الرصاص ودوي المدافع وهدير الطائرات وزغاريد النساء وهي تزف التوابيت للمقابر والنيران تشتعل وكأن معجزة قد حدثت ويحدث التغيير وكنت أتابع كل مايدور من حولي والشباب يتساقطون واحدا تلو الآخر والإنفجارات تهز المدينة وبلا وعي وجدت نفسي وسط الجموع وبين الناس أهتف معهم وقبضة يدي ممسكة بإبني الأصغر والذي كان في العاشرة من عمره فقد كنا جميعا نطالب بسقوط الراية لكي ترفرف راية تعيد تنظيم أو ترتيب الواقع إلى واقع أفضل واشتركت بالعمل التطوعي الإنساني للمساعدة والإغاثة وكنت حريصة جدا على وجودي بكل المظاهرات والمسيرات ومتواجدة بجل الندوات فداخلي يؤكد لي بأني سأكون جزء مهما في هذا الحدث الذي أسقط الراية ورفع راية أمل منتظرا أن يحدث أو لايحدث ولكني كنت على يقين من أننا في تلك الأيام والشهور على حق ومطالبنا هي الحق والعدل وبأن السعادة والفرح ستغسل كل الأحزان فدماء الشباب الطاهرة روت ثرى الأرض بذورا حتما ستكون أشجار باسقة مثقلة بثمار الأمل

وبدأت مفردات غريبة وجديدة تدخل في لغتي ولكي أفك طلاسم معاني تلك المفردات إلتحقت بدورة بمجال الإعلام وعدت إلى مقاعد الدراسة من جديد فكنت ألتهم الدروس إلتهاما واستوعبت العمل الصحفي لأنه التخصص الإعلامي الذي راقت له نفسي وشغفت به وبدأت العمل الصحفي الميداني فكنت أتابع الأحداث عن كثب وأكتب وأنشر وقائع الواقع بكل موضوعية وشفافية ففي تلك المرحلة إنتشرت الصحف ووكالات الأنباء وكأن المجتمع كله تحول إلى حقول الإعلام بعدما تعطل العمل وتوقف تماما بكل مؤسسات الدولة التي أصبحت مشلولة تماما بنظري وقدمت مظاهرة بدار الطفل مطالبة بحقهم الطبيعي بحياة كريمة ورفع الظلم القاهر عن كاهلهم ونشرت الصور والمستندات والوثائق التي تؤكد للعالم بأن دار الطفل ماهي إلا سجن كبير خلف أسوار الدار ودفعت ثمن شجاعتي بأن تم فسخ وإنهاء عقد عمل إبنتي التي كانت تعمل موظفة بالمؤسسة والأمر والأدهى إتهام إبنتي بجريمة السرقة

والتي أثبتت التحقيقات بطلانها وبأنها شكوى كيدية ولم يثن عزمي كل تلك الأحداث بل زادت من إيماني بأنني على حق فأنا لم أظلم أحدا بحياتي وهذا يقيني الراسخ في بل أنا من عشت مظلومة طوال حياتي وكنت كسلعة تباع فقد باعني إخوتي في أول مرة وكان الثمن أني فقدت أولادي الثلاثة وبالمرة الثانية أنا من بعت نفسي بنفسي لزوج أناني لايعني من أمر هذه الدنيا إلا نفسه فقط فكان لابد لي من مواصلة طريقي والكفاح من أجل نفسي ومن أجل أولادي وفعلا فعلت وجمعت كل أولادي تحت سقف منزل واحد , دفعت ثمنه كل أيام عمري .

تواصلت الحياة بفوضى عارمة وكنت دون أن يعلم أولادي أتردد على عيادة مرض السكري وكثيرا ما كنت ألاحظ رجل هرم يتكئ على عكازه ويرافقه شابا يانعا كان ذلك الهرم يطيل النظر إلي ثم يمضي كل منا في حال سبيله ولكن هذه المرة سمعته يهمس بكلمة ذات العينين العسلتين (الخرشه) كلمة في لحظة أعادتني إلى أيام الصبا فتاة مزهوة بنفسها تمشي على الأرض كعصفورة ترقص وهي تتقافز من غصن إلى غصن بين أشجار الحياة الوراقة اليانعة، نظرت إليه وقلت :

- ماذا قلت..؟

غادر المستسفى ولم يجبني .

توالت الأحداث مسرعة أدرت مؤشر المذياع بداخل سيارتي سمعت صوتا هيئ لي أني أعرف صاحب هذا الصوت نعم أعرفه وبدون وعي مني طلبت تليفون الإذاعة وقلت لهم : :

- أريد الإتصال بمن كان يتحدث عبر الأثير الآن بإذاعتكم
- لقد غادر مبنى الإذاعة سيدتي
- هل بإمكاني الحصول على رقم هاتفه؟
- ليس هناك ما يمنع سيدتي

وبمجرد حصولي على الرقم إتصلت به فورا رد علي بكل هدوء

- أعذريني أختي الفاضلة فأنا الآن في إجتماع بقاعة الفندق

وماهي إلا دقائق وكنت بقاعة إجتماعات الفندق تفرست بوجوه الحاضرين حتى سمعت صوته يتحدث عبر ناقل الصوت إنه هو ذلك الهرم الذي كنت أقابله بمركز علاج مرضى السكري والذي خيل إلي أنه ناداني بذات العينين العسلتين الإسم الذي أطلقه علي أبي وكل من كان يعرفني أيام صباي .

إنتظرته حتى إنهاء حديثه وبرغم إزدحام الناس من حوله إلا أنه جاءني يتكي على عكازه

- أنا من إتصلت بك منذ ساعة بالتليفون
- أعرف
- أريدك أن تتناول قضية جد مهمة
- قضية ماذا فكل الأحداث الآن قضايا
- قضية إبنتي التي إتهمت جورا وفصلت من عملها
- ياعزيزتي أنا لا أتناول القضايا الخاصة

نفس العبارة التي كتبها لي على تلك الورقة والتي أعطانيها بالحديقة العامة عندما كنت طالبة بمعهد العلوم الإدارية

- ياعزيزتي نحن الآن نجهز لقافلة إغاثة إنسانية لمدينة منكوبة
- ضع إسمي بالقائمة فأنا ..

قاطعني :

- صحفية
- نعم ..هل تعرفني؟

- أعذريني عزيزتي فأنا مشغول الآن

غادرني ولم يجب عن سؤالي حتى هذه المرة تركني حائرة بين شكي ويقيني .

إن كان هو فما علاقة كرة القدم بالسياسة؟ عندها أدركت بأن الاثنين مجرد لعبة والماهر باللعبتين هو من يراوغ ويستطيع كسب المباراة ويسجل أهدافا أكثر .

منذ أن قررت أن أكون كيانا مستقلا خرجت من قاعة الإجتماعات بالفندق وذهبت إلى الجمعية الخيرية التي كان يتواجد بها دائما وجدته منشغلا وحوله مجموعة من أعضاء الجمعية يتناقشون في آلية الذهاب إلى المدينة المنكوبة فتقدمت لكي أواجهه مباشرة وقلت :

- أريد الذهاب مع الوفد لكي أقوم بالتغطية الصحفية

نظر إلي :

- عزيزتي إنها ليست بنزهة , إنها مهمة محفوفة بالمخاطر

- أعلم ذلك وأنا لها ومستعدة لمواجهة الموت إذا أضطر الأمر إلى ذلك

نظر إلي نظرة طويلة ولم يقل شيئا ولا أعرف كيف خرجت من الحجرة فقد إنتفض بشعور مهانة لاحد له وفجأة خرج إلي وأنا في قمة غليان غضبي

- غدا موعد إنطلاق قافلة الإغاثة إنتبهي إلى نفسك ,

إلى أين يسوقني طموحي ..المدينة دب الموت فيها ورائحة الجثث بكل مكان ولأول مرة في حياتي أري رؤوس مفصولة عن أجسادها أقاوم رغبتي في التقيئ وأداري خوفي وجزعي بكلمات لامعنى لها أشاهد أشخاصا ينتزعون ستائر المساكن ويسرقون الأثاث بجوار جثث كانت في يوم ما تدب فيها الحياة وكانوا بشر مثلا لهم أحلامهم..طوحاتهم..يتسع الخوف في داخلي أغلق عيني لكي لاأشاهد كل هذه البشاعة وكل هذا الدمار ولكن تسيطر علي الرغبة الصحفية فأنا وسط الموت

ولابد لي من نقل كل الوقائع لأنني أول صحفية يتسنى لها دخول المدينة المنكوبة وفعلا سيطرت المهنة على كل عواطفي ونقلت بالصورة والكلمة كل شئ وصدرت الصحيفة التي كنت أكتب لها بعنوان رئيسي بأنني أول صحفية تدخل إلى المدينة المنكوبة وتنقل كل الأحداث وتحققت أمنية من أماني ، سمعت وقع خطوات تقترب مني وفاجأني وجوده أمامي

- أنت صحفية ممتازة وسيكون لك شأن عظيم في عالم الصحافة
- أنا هاوية ومازلت بأول الدرب والطريق أمامي طويل
- أنا لا أجاملك إنها الحقيقة أنت صحفية وتمتلكين الموهبة
- إسمعني أنا معلمة قيادة وموظفة بدار المسنين والعجزة , والصحافة بالنسبة لي مجرد مرحلة -خطواتك في عالم الصحافة تؤكد بأنك قادرة على أن تكوني صحفية متميزة ثقي بي .

أمرك ياعزيزتي يثير حيرتي دائما فلن يضيع جهدك هباء ولابد أن يعي مخك أهمية ماقمت به من عمل رائع يعجز كثير من الصحفيين عن القيام بمثله فقلت له مازحة : -المخ قابل للطهى ويمكن إنضاجه فوق نار هادئة مع شئ من الملح والفلفل ويستحب إلتهامه مع البيض ..!! هل تحب هذه الوجبة نظر إلي مبتسما- :أحبها ولكن ليست بدرجة هوسك بها وغادر الحجرة وهو يتمتم لاتنسي أن ترشي قليلا من البهارات على المخ المقلي أليس هكذا يكون ألذ وأشهى وهذه هي المرة الأولى التي تحدثنا فيها عن عالم الطبخ بعيدا عن عالم المطبخ الصحفي .

أنا إنسانة إيماني مطلق بالله ولم تفتني الحياة برغم كل البهرجة وحدسي يؤكد لي بأن الغد يحمل لي الهناء لدرجة أكاد أتنشق عبيره وأولادي هم عماد أيام عمري وربي إصطفاني لكي أنجز عملا خالدا ونواياي تجاه كل البشر كانت سليمة وسوف أفوز بكل ماوددت تحقيقه ويوم غد لن أهادنه وسوف أقول له :

- لابد من أن تصارحني ماذا تريد مني؟

قاطعني رنين النقال وجاءني صوت من كان يرافقه ويسير معه كظله

- لقد رشحناك لكي تتولي رئاسة تحرير صحيفة جديدة حاولي أن تأتي إلينا في أقرب وقت ممكن لو سمحتي

لم أجده في الزورق ، بحثت عنه بين الصخور التي تأتيها الأمواج العاتية ، أين هو؟ إختفى ، تهاجمها الأمواج العاتية..لاتتحرك من مكانها،ماذا لو نفذ كلامه، وهرب، ومن سيتولى شؤون كل هذه الأعمال والندوات والمؤتمرات، قابلته فجأة ، واختفى فجأة،، سأنتظره هنا على الشاطئ فهو حتما سيعود، إنه لم يهرب ولم يمت ، حتى وإن عاد القارب فارغا، فهو مازال على قيد الحياة،ولم يهرب،أعرفه جيدا فهو رجل مواقف يواجه مصيره بكل شجاعة،سيعود من أجلها ومايؤمن به سيعود، إنه يحفل بالحياة وتحفل به الحياة، إنه حلمي الذي أعيشه، لن أسأله مرة ثانية ..لا أريد إجابة عن ماذا يريد مني؟ أو ماذا أريد أنا منه؟ سواء إن كان نعمة أو كان نقمة لايهم، ياالله ياالله.. قفزت يملأني النداء حمدت الله أنه كان حلما سيطر علي هذا الحلم أو الكابوس طوال يومي، كنت في حاجة إليه لأروي له مارأيته في منامي ، إتصلت به عدة مرات على كل أرقام تليفوناته ولكنه لم يرد، عادت سيطرة الحلم وأنا مابين الشك واليقين

- إن كان ماحدث واقعا أم أنه مجرد حلم ؟

واشتعلت نيران الحرب وتحولت مدينتي إلى أتون من جحيم وأصبح منزلي محور للقتال فغادرته قسرا هربت بأولادي وأصبحت نازحة في وطني أتنقل من مكان إلى مكان خوفا على أولادي وعلى نفسي حتى إستقر بي المقام بجوار المدرسة التي يعمل بها طليقي الميت الحي فهو بالنسبة لي قد مات منذ أن غادرت منزل أهله وحيا بالنسبة لأولادي فهو أبيهم ولابد من أن يشاركني المسؤولية التي لم يشاركني بها طوال حياتي معه ولكنه كعادته لم يتغير مازال هو هو سلبيا ولا رأي له، عانيت كثيرا مأساة النزوح وتوقفت الحياة مرة أخرى بمدينتي وعلمت بأن زوج أختي من أبي متورط مع المتطرفين وبأن إبنه يقارع المتطرفين ، قررت زيارة أختي فرأيت إنسانة أخرى لا أعرفها رأيت إنسانة محطمة تماما تعاني الإكتئاب والحزن ومابين اليقظة والحلم كانت تصرخ قتل زوجي وخطف إبني ثم تغيب لساعات عن الوعي ..

وعلمت بأن إبن شقيقي سقط وهو يقاتل المتطرفين وأصيب بشلل رباعي وكأن المآسي تجمعت كلها دفعة واحدة وبرغم كل هذا إلا أني كنت متماسكة وكنت أشارك بكل المظاهرات منددة بالمتطرفين وبجرائمهم البشعة وكنت مع الحق ضد الباطل حتى إنتصر الحق على الباطل وعادت مدينتي إلينا وعدت إلى منزلي فوجدته قد تحول إلى بقايا منزل وفجأة رأيته أمامي وبدون أن أدري سألته :

- أين كنت؟ ولماذا تركتني وحدي؟

وبوجه شاحب حزين قال لي :

- كنت مسجونا في دهاليز الجماعات المتطرفة وخرجت منذ ساعات
- أرأيت ما حدث؟
- خذيني معك أريد أن أشاهد مدينتي، خذيني إلى شارع البزار حيث ولدت وإلى ميدان الشجرة وسوق الحوت خذيني بين الشوارع والأزقة

ذهبنا معا وكنت أقود سيارتي وهو جالس بجواري يتأمل بكل حزن المباني التي حولتها الحرب إلى هياكل، وقفنا أمام كورنيش بحر الشابي نظر إلي مبتسما

- فيما مضى كنت تسبحين هنا ..كنت عروس البحر !!..أحفظ هذه المنطقة حيث كان التسامح والود والمحبة تسود حياتنا أيام البراءة والطيبة
- الذاكرة باقية بقاء الحياة لاتصلها الشيخوخة وذاكرة الأمكنة هي ذاكرتنا مهما تغير المكان والزمان
- مثل القلوب لاتشيخ مهما تقدم بنا العمر إلا أنها مازالت تنبض بالحب
- صدقتي

وسمعته يهمس :

- لاشئ قبلك .. وبعدك لاشئ يبقى .

إرتعش العكاز بيده .. مال برأسه وهمس في خفوت:

- أيتلاءم الحب مع الحزن
- الحزن لايقضي على الحب
- هل تدركين حجم المؤامرة؟
- علمتني أنه لابد من المواجهة ولو إستسلمنا فقدنا أنفسنا وضعنا ، الحب يعني الحياة واليأس لايأتي بالحل
- من يعيد الموتى من تحت التراب؟ وعن القبور التي ضاقت بموتاها وعن الأحياء الموتي من يعيد إعمار كل هذا الدمار وواد الروح من يوقف نزيف الموت ومن يعيد للأمهات أبناءهن وللزوجات أزواجهن وللحبيبات اللواتي ينتظرن حبيبا لاياتي لاتبرري لي الهزيمة فنحن ياعزيزتي دخلنا المتاهة برغبتنا لقد وقعنا في شراك الأفخاخ خدعونا فسقطنا .

مدينتي مثل النجوم لاتكف عن ولادة الرجال ..لا تخف عليها

- أنت لاتعرفين معنى الحرب
- لكي نعيش لابد من التضحية وتأكد بأننا لن نضيع وبعد الهدم سيتم حتما البناء
- هل هناك أمل؟
- حتى وإن نخر السوس الشجرة ستقاوم الشجرة وتبقى شامخة والحل يكمن في ألا نضيع بمتاهة اليأس فلا تجعل يأسك يقتلك ومن لايحب أن يهزم أنا إمرأة تحدت العذاب وتجاوزت كل المتاعب والصعاب ولم أهزم وها أنا بعد كل هزيمة وهزيمة أبعث من جديد وسوف يولد الفجر ويعم نور الحياة مدينتي
- أعرف عنادك وأؤمن بتحديك وأدرك سر قوتك فأنت إمرأة تؤمن بنفسها يقينا

وغادرنا المكان وكنت في أعمق أعماقي أتمنى أن يطلبني للزواج فهو الرجل الذي ظللت طوال العمر أبحث عنه وخفق قلبي بمحبتة برغم كل السنين وبرغم شيخوخة عمري وعمري إلا أنني تمنيت أن أكون عكازه ويكون عكازي في آخر العمر ويطلبني للزواج ..ولكنه لم يفعل!!..

على أطراف أصابعها كانت تسير وبكل رشاقة أخرجت مفتاح الباب الرئيسي المؤدي إلى الفيلا وكأنها تطير، دارت حول نفسها كعصفورة مستعيدة تفاصيل المحادثة بينها وبينه ،تنهدت في إرتياح ورأت المنظر المعتاد كل أولادها قد تجمعوا بصالة الفيلا والكل يتكلم ولا أحد يستمع للآخر، تسللت إلى غرفتها،نظرت إلى المرآة المقابلة لفراش نومها الوثير والذي كانت قد إختارتها بعناية فائقة لتعوض سنوات النزوح ونومها على قطعة من الإسفنج على الأرض وسط أولادها وأحفادها حيث كانت تزدحم بهم صالة الشقة المستأجرة والتي كثيرا ما أرهقها إيجارها ،نظرت إلى صورتها المنعكسة على المرآة همست أرهقتني الحياة، ورسمت السنين ملامحها على وجها بتجاعيد تؤكد لي بأن العمر قد هرب مني دون أن أدري إبتسمت إبتسامة ساخرة وقد كست الحمرة خديها ولم لا فمازالت في داخلي إنسانة تتوق للحياة ،وهو لم يتزوج فمنذ أن رفضه أهلي وهو ناسكا في محراب حبي، وقد قال لي بأنه يحبني كما أنا، بدون مساحيق ولا ألوان فأنا بالنسبة له المرأة الحقيقية التي لاترد على كل مايوجه إليها من الكلمات،تستقبل فقط وإن كان عليها أن ترد فلا داعي للكلمات، وهذه أنا تماما ،إقتربت من المرأة تتفحص خصلات الشيب التي غزت شعرها هل يعقل أن أتزوج وأنا بهذا العمر، ومنذ شهرين فقط زوجت حفيدتي، ردت في تحدي على صورتها المنعكسة على مرآة غرفة نومها حتى وإن شاخ العمر فمازال القلب يخفق بالحياة بالحب، إنه الرجل الذي أنتظرته طوال عمري وبحثت عنه في كل أيام حياتي،لقد باح لي بكل تفاصيل حياته وأدق أموره، كيف عاش وحيدا، وكيف أصيب برجله عندما داهمت الشرطة الملعب بإحدى مباريات كرة القدم لغرض تجنيد الشباب قسرا، وبأن إبن أخيه هو من كان يتولى مسؤولية علاجه، والآن أنا من سأعيش بقية عمري في خدمته، إنه فارس أحلامي،وسوف أصارح أولادي بكل شئ، وقبل أن تغادر غرفتها إرتفع صوت أولادها بقاعة الفيلا،جلست بكل هدوء تسترق السمع فتبينت بعض الكلمات مما يقول أولادها خرجت من صدرها زفرة حارقة إنهم بتشاجرون على الميراث، أولادي يتشاجرون على أن يرثوني وأنا على قيد الحياة، هل هذا الذي أسمعه حقيقة أم خيال خرجت مسرعة وقررت بيع الفيلا وتوزيع ميراثها على أولادها وهي على قيد الحياة وذهبت إلى دار المسنين والعجزة تلك الدار التي كانت في ذات زمن مشرفة عليها وقررت أن تقضي بها بقية أيام عمرها بلا أنيس أو ونيس، حاولت تمزيق الأوراق التي كتبت بها كل تفاصيل حياتها فلم تقوى وسقطت من على المقعد المتحرك، بعد أن كتبت (أحبك حتى وإن جف بصدري الهواء) جثة هامدة!!..

المؤلف فى سطور



د. ابراهيم عبدالحميد كاتب وصحفي رئيس مجلس ادارة مؤسسة الصحفيين الليبين نائب رئيس اتحاد المثقفين العرب رئيس اتحاد المثقفين العرب بدولة ليبيا رئيس الاتحاد الدولي للصحافة العربية بدولة ليبيا رئيس مجلس ادارة صحيفة صدى المستقبل مدير عام قناة المنتدى الفضائية الاقصادية سابقا مدير عام قناة وطن الكرامة الفضائية سابقا رئيس تحرير صحيفة الساحة - رئيس تحرير مجلة الاولى

المستشار الثقافى والإعلامى لمؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع بجمهورية مصر العربية اعد عشرات البرامج المرئية والمسموعة كتب في العديد من الصحف - اجريت معه عديد اللقاءات التلفزيونية - اجرى حوارات صحفية واذاعية مع العديد من الرؤساء العرب والادباء والكتاب مثل دولة ليبيا في المؤتمر العالمي للاعلامين الذين شاركوا في التغطية الاعلامية في مناطق النزاع المسلح وقد حضر المؤتمر مائة اعلامي من ستين دولة عربية واوربية وكان ذلك ببيروت عام 2012 كتب للمسرح وخاصة مسرح الطفل وكتب عديد من المسلسلات الاذاعية اسس للعديد من الصحف والاذاعات بدأ نشاطه الصحفي عام 1975نال شهادات تكريم ومنح شهادة الدكتوره الفخرية من عديد من المؤسسات الابداعية مشارك في العديد من المنتديات الادبية والثقافية خريج جامعة القاهرة كلية الحقوق عام 1975

حاز لقب شخصية العام الثقافية لعام 2019 فى المسابقة السنوية برعاية مؤسسة النيل والفرات بمصر

صدر له

العزف على أوتار القلب (دفقات شعورية) ونال به المركز الأول وشخصية العام الثقافية عام 2019 عن مؤسسة النيل والفرات

منمنمات (دفقات شعورية) 2020

لوما (رواية) 2020

ولادة عارضة (رواية) 2020

الفهرس